توزع مجاناً
Distirbuted Free

المرآة

سياسية. اجتماعية. اقتصادية. مستقلة
العدد ٣ - ٤ نيسان ٢٠١٥

عبد القادر الصالح... ثورة

By JULIAN REICHELT

ديمُقراطيَّةُ الأمَمِ المتَّحدة و إنسانيتها المَفقودة

«جنيف ١» النّقاطُ السِّتُّ ٣٠ آذار ٢٠١٢:

١ ـ الالتزامُ بالتّعاون مع المبعوث في عمليّةٍ سياسيّةٍ تشمل كلَّ الأطياف السوريّة لتلبيَةِ التطلعات المشروعة للشعب السوريّ وتهدئة مَخاوِفِهِ، ومن أجل هذا الغرض الالتزام بتعيين وسيطٍ له سلطاتٌ عندما يطلب المبعوث ذلك.

٢ ـ الالتزامُ بوقف القتال والتوصُّل بشكلٍ عاجلٍ إلى وقفٍ فعّالٍ للعُنف المُسَلح بكلّ أشكاله من كلّ الأطراف تحت إشراف الأمم المتحدة لحماية المدنيّين وتحقيق الاستقرار في البلاد. ولتحقيق هذه الغاية على الحكومة السوريَّةِ أن توقفَ على الفور تحركات القوَّات نحو التجمُّعات السكنيّة وإنهاء استخدام الأسلحة الثقيلة داخلها وبَدء سحب التركُّزات العسكريّة داخل وحول التجمُّعات السكنيّة. ومع اتخاذ هذه الإجراءات على الأرض على الحكومة السوريّة أن تتعاونَ مع المبعوث للتوصُّل إلى وقفٍ دائمٍ للعنف المُسلح بكلّ أشكاله من كلّ الأطراف مع وجود آليةِ إشرافٍ فعّالةٍ للأمم المتّحدة.

وسيسعى المبعوث إلى التزاماتٍ مُمَاثلةٍ من المعارضة وكلّ العناصر المعنيّة لوقف القتال والتعاون معه للتوصّل إلى وقفٍ دائمٍ للعنف المُسلَّح بكلّ أشكاله، ومن كلّ الأطراف مع وجود آليَّةِ إشرافٍ فعالة للأمم المتحدة.

٣ ـ ضمانُ تقديم المُساعدات الإنسانيَّة في الوقت الملائم لكلّ المناطق المتضرّرة من القتال. ولتحقيق هذه الغاية، وكخطواتٍ فوريّة، قَبولُ وتنفيذُ وقفٍ يوميّ للقتال لأسباب إنسانية، وتنسيق التوقيتات المحدّدة وطرق الوقف اليوميّ للقتال من خلال آليَّةٍ فعّالةٍ بما في ذلك على المستوى المحلي.

٤ ـ تكثيفُ وتيرة وحَجم الإفراج عن الأشخاص المُحتَجَزين تعسفيّاً وبوجهٍ خاصٍّ الفئاتِ الضعيفةَ والشخصياتِ التي شاركت في أنشطةٍ سياسيةٍ سلميّةٍ، والتقديمُ الفوريُّ دون تأخيرٍ عَبر القنوات الملائمة لقائمةٍ بكلّ الأماكن التي يجري فيها احتجازُ هؤلاء الأشخاص، والبدءُ الفوريُّ في تنظيم عمليّة الوصول إلى تلك المواقع والردّ عَبر القنوات الملائمة على الفَور على كلّ الطلبات المكتوبة للحصول على معلوماتٍ عنها أو السَّماح بدخولها أو الإفراج عن هؤلاء الأشخاص.

٥ ـ ضمانُ حريَّةِ حركة الصّحفيّين في أنحاء البلاد وانتهاجُ سياسةٍ لا تنطوي على التمييز بينهم فيما يتعلق بمَنح تأشيرات الدخول.

٦ ـ احترامُ حرّيَّة التّجمُّع وحقّ التظاهر سلميّاً كما يكفل القانون.

افتتاحية العدد

بقلم رئيس التحرير

ياسر الحجي

الثورة السورية إلى أين؟

الحجّي كما هو معروفٌ هو ذلك الذي ذهب لقضاء فريضة الحجّ، وبعد ذلك نال اللقب. أمَّا في الثورة السوريّة فلا أجِدُ تفسيراً لماذا يُطلِقون هذا اللقبَ على بعض القادة؟!

فالبعضُ منهم لم يطُفْ أو لم يَسْعَ.. وقد تكون هذه إشكاليَّةً بسيطة، لكنَّ الأهمَّ من ذلك كله هو ما لعِبَه الحُجَّاجُ من دَورٍ في الثورة، وخاصَّة في الرِّيف، حيث كان هذا الأخيرُ سبَّاقاً في موضوعِ الحُجّاج والخروج ضدَّ الظالمين. فلم يكن لدى معظم الحُجَّاجِ أيَّةُ صفاتٍ قياديّةٍ أو فكرةٍ عن بناء الدَّولة، فأطلقوا الشعاراتِ وعملوا التجمُّعات، مستوحِين ذلك من الدِّين. ولكن هم في الحقيقة أدركوا حجمَ الضرَّر الذي حصل من تلك السِّياسة، فقد كانوا على علمٍ أنه لا يمكِنُ إزالةُ النظام إلا بالتعاون مع المجتمَع الدّوليّ. ولكن لم يُبلِغوا ذلك لأتباعهم, وإنَّما أوهَمُوهم بأشياءَ أُخرى تَبعُد كثيراً عمَّا كانوا يعلموه حقَّ اليقين. واستعملوا الدّين فيما يُفيد موقعَهم الخاصَّ فقط. فلم تكُن الثورة دينيَّة وإنّما بدأت ضدَّ الظلم والفساد، ممتلئَةً رغبةً في التحرُّر من تسلّط نظام البعث والأسد على رقاب الناس، والتصرف بسوريَّة كأنّها مزرعةٌ خاصّةٌ يفعلون بها ما يشاؤون!

وبعدَ أربع سنواتٍ لابُدَّ من البَدء بالتفكير بآلام الناس ومصلحة الشعب، ولا بُدَّ من المصارحة ووضع الشخص المناسب في المكان المُناسب لرعاية أمور الناس، ولا بُدَّ من إبلاغ الجميع، وأهمُّهم الأبطالُ الذين على الجَبهات حقيقةَ الوضع، وعدم استغلال الدِّين فقط لإبقائهم على الجبهات، إذ كيف يمكن أن ينتصروا في معركةٍ بينما قائدُهم لا يعرف شيئاً عن القيادة العسكريَّة؟!

وإذا عُدنا للدِّين نجدُ قولَه تعالى:(وأعِدُّوا لهُم ما استَطعْتُمْ مِن قُوَّةٍ) أليس معنى ذلك أنَّ القادةَ المختصّين والسلاحَ المناسبَ هم المقصودون من الآية، أم أنَّ هناك تفسيراً آخرَ، وأعذاراً تضمن لبعضهم البقاءَ في مناصبهم؟

لقد كان للبعضِ دَورٌ مهمٌّ وجهدٌ واضحٌ في الثورة، ولكن عليهم أيضاً معرفةُ حُدودِ مقدرتهم, إذ يزداد كلَّ يومٍ عددُ الأمَّهات الثكالى، وكذلك الأرامل واليتامى, ويُشرَّد المزيد... ألا يستحقُّ هؤلاء أن نفكّرَ بِهِم؟ ألا يستحقُّون أن يتولى أمورَهم الأفضل، وأن نكونَ أصدقَ مع مَن هُم على الجبهات صَباحَ مساء؟

الأزمةُ السُّوريَّةُ أصبحت أزمةً دوليَّةً منذ زمن، وليس لها حلٌّ إلا عن طريق المجتمع الدّوليّ، وذلك يتطلب سياسيّين محنَّكين ومُفاوِضين ومُحامِين وضبَّاطاً عسكريّين، أي مُختصّين بكلِّ الأمور.. ومَن يقولُ إنَّ الحلَّ ليس عن طريق المجتمع الدّوليّ أشُكُّ أنا بِدِينه؛ ويكفي الاستهتارُ بأرواح وآلام الناس ...

المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يصلها من مواد؛ والمواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير .

3 الافتتاحية

ثوَّار بلا ثورة (إلى ثوار جامعة حلب)

6

أسباب الفشل الثوري (2)

10

السُّوَيداء في الثورة! وظلمُ ذوي القُربى...

12

ماذا يخبِّئُ المستقبَلُ لسوريَّة؟

18

إنّ الإنسانَ لَيَطغَى

22

مجلة

المرآة

سياسية. اجتماعية. اقتصادية. مستقلة

The Syrian Mirror

شهرية مستقلة

Monthly Political & News Magazine

تصدر عن دار الشمال والجنوب للدراسات الإستراتيجية
حلب - سوريا

هيئة التحرير

رئيس التحرير ،والمدير المسؤول:
ياسر الحجي

مدير التحرير:
د.علي حافظ

المترجم ، وسكرتير التحرير:
همام عبد الحق

المدقق اللغوي
محمود محمد منير

الإخراج الفني:
أحمد شوا

Publisher & Editor in chief:
Yasser Ali Haji

Editor :
Dr. Ali Hafez

Staff :
Homam ABDALHAQ
Mahmod mohamad MONEER
Ahmad SHAWA

Published By :

South & North For Stratigic Studies
SNSS
Aleppo - syria

ديمقراطية الأمم المتحدة وإنسانيتها المفقودة

26

الجيشُ الوطنيُّ الحُرُّ بينَ الحلمِ والواقع

28

الدِّينُ ومَورُوثُ السَّلاطين

32

العلاج المنطقيّ للمريض السُّوريّ

34

عبد القادر الصالح... ثورة

38

في العدد أيضاً

41
بُذورُ الطائفيَّةِ في سوريّة

46
حوار عن الثورة مع النقيب المنشق أحمد غزالي

52
حمايةُ المرأة في ظلِّ القانون الدّوليّ الإنسانيّ

55
الآثارُ النفسيةُ التي تواجهُ أطفالَ سوريةَ جرّاءَ حربِ الأسدِ

58
الفَرَصُ الضَّائعة

66
إلى صديقةٍ دمشقيَةٍ

68
قصيدتان للشاعرِ الرَّاحلِ رياض صالح الحسَين

70
مُختاراتٌ من قصيدة «بَرْد»

72
صباحكَ الجرحُ

74
قنّاصُ القَلعة

76
مجموعةُ أقلامٍ

78
الفنّ الشعبيُ الثَوريُّ في مُوَاجهة القَمع

82
لوحةُ «كفر جنّة» لفاتح المدرس

84
وراء الكواليس

88
فيلمُ «الخروج.. آلهةٌ وملوكٌ» يزوِّر التَّاريخ

ثوّار بلا ثورة

(إلى ثوار جامعة حلب)

مدير التحرير
د. علي حافظ

اِتَّسمَ النشاطُ الثوريُّ السلميُّ في مدينةِ حلبَ بالضعفِ والمحدوديّةِ مقارنة بقرى وبلداتِ ريفَيها الشماليِّ والغربي، وبقيَ مقتصراً على عددٍ أحياءٍ شعبيةٍ قليلةٍ تقعُ على أطرافها ـ صلاح الدين، السكري، بستان القصر، سيف الدولة، الشعار، الصاخور، مساكن هنانو... ـ في حين ظهر حراكٌ آخرُ نوعيٌّ فعالٌ ومنظمٌ تنظيماً جيداً داخلَ جامعتها، بالتوازي مع حراكِ الريف الحلبيِّ الثائر.

فقد كان الطالب عبد الرحيم الجمل صاحبَ فكرةِ الخروج بأوّلِ مظاهرةٍ فيها، والذي أسّسَ بالتعاون مع محمد قنطار ـ الملقب بأبي عادل ـ «الاتحادَ الديمقراطيّ الحرّ»؛ والذي عُرِفَ في مرحلةٍ من مراحله بـ «تنسيقية جامعة الثورة».. وصلت هذا الاتحادَ تبرعاتٌ عينية وماديةٌ كثيرة من بعضِ الأشخاص والجهات المدنية، وتلقّى دعماً لوجستياً معتبَراً من المجالس الثورية والعسكرية الفاعلةِ على الأرض، حيث شاركَ أعضاءٌ شجعانٌ منه بعملياتِ اغتيالٍ وتصفيةٍ لعددٍ من الضباطِ والشبيحة المطلوبين لقوى الثورة. وأخصُّ بالذكر هنا عبد الله نجار (أبو وسام)، الذي يعدُّ من أوائل طلاب جامعة حلب الذين اشتغلوا بالعسكرةِ وانضموا للكفاحِ المسلح.

أُتفِق في 19 نيسان 2011 على الخروج في أولِ مظاهرة، وذلك يوم الخميس 21 نيسان في كليةِ الآداب؛ وبالفعل جرتِ المظاهرةُ وشاركَ فيها ستة عشر طالباً فقط، أُعتقلوا جميعاً. وكان أغلبُ المشاركين من محافظتي إدلبَ وحمصَ، ولم يكن هناك أي كرديّ ـ على عكس ما أشار إليه المعارض الحقوقي المثيرُ للجدلِ هيثم مناع في لقاء على «قناة فرانس24» مساءَ الخميسِ السادسِ والعشرين من كانون الثاني 2012!

ظهرت غرفةٌ على (السكايب) باسم «جامعةِ الأحرار» تقومُ بالتنسيقِ بين الطلاب، وتحديدِ موعدِ الاجتماعات، والدعوةِ إلى الخروج بمظاهرات. في حين تمّت أغلبُ اللقاءاتِ بالغرفة 332 من الوحدةِ الثامنةِ، التي عُرِفت بـ «مضافةِ المدينةِ الجامعية».

كانت كليَّتا العلومِ والهندسةِ الميكانيكيةِ من أنشطِ الكليَّاتِ وأكثرها مشاركةً في المظاهراتِ الجامعية، التي أخذت تتسعُ رقعتُها الجغرافيةُ مع زيادةِ عددِ الطلابِ المنخرطين فيها، والمنتَمِين إلى أغلب فئات الشعبِ السوريّ. أمّا مظاهراتُ المدينة الجامعية، فيكفي أن يُخرجَ أحدهم رأسهَ عبرَ نافذةِ غرفته ويُكَبِّر، حتى تخرجَ الجموع الشابّةُ في مظاهرةٍ رائعة!

تطوَّرَ الحراكُ الثوريُّ شيئاً فشيئاً، وانتقلت عدواهُ ـ بسرعةٍ كبيرة ـ من كليَّةٍ إلى كليَّة، ومن قسمٍ إلى قسم, ومن مدرجٍ إلى مدرج،

ومن قاعةٍ إلى قاعة، حتى وصلَ ذروتَهُ مع مجيءِ وفدِ المراقبين الدوليين في الثامن عشر من أيار 2012، لتخرجَ الجامعةُ عن بكرةِ أبيها وتكتظَّ ساحتُها بالمتظاهرين الغاضبين الذين حطَّموا لوحةَ سيراميك المقبور حافظِ الأسدِ داخلَ حرمِها، ورفعوا علمَ الاستقلالِ فوقَ مدخلِها.. منذُ تلكَ اللحظةِ التاريخيةِ أصبحت جامعةُ حلبَ «جامعة الثورة» الحقيقيّة!

التطورُ اللّافتُ كان بخروجِ المتظاهرينَ من الحرم الجامعيّ إلى الفضاءِ الخارجي وتجمُّعِهم الحاشدِ في ساحتِها القريبة، ومن ثمّ محاولتِهم النزولَ إلى مركزِ المدينةِ، لاسيَّما ساحة «سعد الله الجابري» ذاتِ الرمزيةِ الكبرى لثوارِ حلبَ؛ إلا أنَّ احتياطاتِ النظامِ الأمنيةِ المشدَّدة وتجمعاتِهِ العسكريّة والتشبيحيّة الكبيرة التي انتشرت في كل مكانٍ حالت دون تحقيقِ هذا الهدفِ المنشود!

شكّل خروجُ هذا العددِ الهائلِ من المتظاهرين الجامعيين صدمةً قويةً للنظامِ ومؤيديهِ ومرتزقتِهِ، لأنَّه لأولِ مرةٍ في تاريخِ مدينة حلبَ ـ منذ بداية الثورة ـ يجتمعُ هذا الحشدُ الضخمُ الثائرُ في ساحةٍ من ساحاتها، ليخلقَ أجواءً احتفالية ملحميةً أسطورية جديدةً في المدينةِ الباردة، التي لم تتفاعل إيجاباً مع الثورة وتشارك بفعاليَّاتِها بالشكلِ المطلوب، ولم تقف كما يجبُ مع أخواتها السورياتِ الثائراتِ الأخريات.

أخافت هذه الانتفاضةُ الثوريةُ القويةُ، التي تراكمت نيرانُها لأشهُرٍ طويلةٍ في صدورِ حامليها، النظامَ وهزَّت أركانَه.. النظامُ الذي طالما احتكرَ الفئاتِ الشبابية، ومنعَ قانونياً عملَ الأحزابِ والتنظيماتِ السياسيةِ ـ باستثناءِ حزبِ البعث ـ داخلَ المدارسِ والجامعاتِ والجيش والشرطةِ...

خرّبَ هذا الحراكُ الجامعيّ الطيّبُ مخططاتِ النظامِ وسيناريوهاتِهِ، التي حاولت جاهدةً ـ منذ اللحظاتِ الأولى ـ إبرازَ الوجهِ الدينيّ المتشددِ المتطرفِ للثوارِ الغريبِ أصلاً عنهم.. كذلك بشَّرَ بأشياءَ إيجابيةٍ كثيرة؛ فقد كان متوقعاً له كسرُ جمودِ المدينةِ وخوفِها, لاسيَّما أنه حراكٌ وطنيٌّ بامتياز جمعَ شملَ الشبابِ الثائرِ بكلّ أطيافِه ومكوناتِهِ.

وكان يمكنُه أيضاً ـ لو استمرَّ بنفسِ القوةِ والفاعليَّةِ ـ أن يغيّرَ وجهَ الثورةِ كاملةً ويرتقي بحراكها الشعبيّ البسيطِ إلى درجاتٍ فكريّة تنظيميّةٍ أعلى.

كان من الممكن لهؤلاء الطلابِ المهمشين، الذين بدؤوا البحثَ عن الذاتِ ضمنَ أجواء الربيع العربيّ، أن يبتعدوا عن أنانيتَّهم ويغيّروا وجهَ بلدهم نحوَ الأفضل، ويُبقُوا على شعارات الثورة الوطنيّة وأهدافها النبيلة الجامعة. إلا أنَّ دخولَ « لواء التوحيد» مع بعض الكتائب المسلحة الأخرى مدينة حلبَ ـ بين التاسع عشر والثاني والعشرين من تموز 2012 ـ وتحقيقَهم نجاحاتٍ عسكرية كبيرة

خلالَ فتراتٍ قياسيةٍ وبإمكاناتٍ متواضعةٍ جداً، أوقفَ وتيرةَ هذا الحراك السلميّ المتعاظم في جامعة الثورة، وجعله يخفتُ رويداً رويداً، ومن ثمّ ينتقلُ كلياً إلى المناطقِ المحررة ليفقدَ فاعليَّته وامتدادَه، ويخطفَ الرصاصُ بريقهُ إلى أجل غير مسمى!

إنَّ عسكرةَ الثورة، ومن ثمَّ أسلمَتُها بطريقة غير صحيحة، قد غيّرَ مسارَها نهائيّاً، وأبعدَ قسماً كبيراً من هؤلاءِ الشباب الجامعيين عن المشاركة بمظاهراتها السلميّة: بعضُهم قام بتسوية أوضاعه الأمنيّة مع النظام دافعاً نقوداً كثيرة كرشاوى كي يعودَ إلى كليّته ويتابعَ دراسته على مقعدٍ واحد مع المؤيدين الآخرين؛ في حين اعتقلتِ الفروعُ الأمنيةُ عدداً كبيراً منهم ما زال مصيرُهم مجهولاً حتى الآن؛ لكن ـ في النهاية ـ لجأ أكثرهم إلى الصمت، وتوقفَ عن الخروج بالمظاهرات، وتابعَ دراسته بألمٍ وحزنٍ عميقَين.. كذلك ترك جزءٌ

آخرُ مقاعد دراسته ـ رغم بقاء سنةٍ أو عدةِ موادَّ على التخرج ـ وتوزّع على مخيمات اللجوء، أو ضاع في زحمةِ وجفاءِ مدن دولِ الجوار، بين باحثٍ عن عمل، أو عن مكانٍ جديدٍ يكملُ فيه دراسته، أو منتظرٍ من يساعدُه على الهجرة إلى أوروبا أو إلى أي مكان آخرَ في العالم؛ أما القسمُ الأشجع والأقوى، فقد انضمَّ إلى الجبهاتِ وتوزَّع على الكتائبِ والألوية مقاتلاً لقوات نظام الأسدِ وشبيحته ومرتزقته، حيثُ استشهدَ عددٌ كبيرٌ منه وبقيَ القليلُ القليل يعيشُ على هامشِ الثورةِ دونَ أن يجدَ مكاناً مناسباً له بينَ هيئاتِها ومؤسساتِها التي ظهرت في المناطقِ المحررة أوفي تركيا!

كان لعددٍ من هؤلاء ـ الذين تسلَّحوا ـ ردةُ فعلٍ قوية على ما آلت إليه الثورةُ المسلحة، من خلال تحوُّل بعضِ قادتها وشخصياتها إلى لصوصٍ وقطاعِ طرق ومهربينَ وأمراءِ حرب، فوجدوا ضالَّتهم بالانضمامِ إلى التنظيماتِ الإسلاميّة المتشدّدةِ التي استقبلتهم برحابةِ صدرٍ وجهَّزتهم مبدئياً للموت في سبيلها؛ فسقط أغلبُهم على جبهاتها غير واضحةِ المعالم والأبعاد

والأهداف...

* * *

يعتقدُ أغلبُ ثوار جامعة حلب أنَّ ثورتَهم قد سُرقت منهم وانحرفَت عن مسارِها الوطنيّ التحرري النبيل، ولَم تَعد لهم ـ في الحقيقةِ ـ منذ زمنٍ بعيد، بعدما قدَّموا تضحياتٍ هائلة، وسقط منهم شهداءُ أبرار رافعينَ أعلامَ الثورةِ في أيديهم؛ وليس رايات لتنظيميات أو صوراً لقادةٍ أو زعماءَ أو شخصياتٍ يُعتقدُ أنَّها مهمّة!

هؤلاء كانوا شبابَ سوريّةَ بكلِّ فئاتِها وطبقاتِها وطوائفِها وقوميّاتِها وأديانِها؛ هؤلاء جعلوا من جامعتِهم أسطورةً ومنارةً للراغبين بالحريّةِ والكرامة؛ هؤلاء كانوا يحلمون بوطنٍ خالٍ من المذابح والجرائم والكوارث، يكون فيه مشروعُ إرادةِ الحياةِ قوياً جداً؛ لكن ـ للأسف ـ لم يبقَ من أحلامهم سوى الدموع والذكريات والتراب الذي يحتوي أشلاءَ من أحبُّوا...

لقد خسرتهم الثورةُ؛ لكنَّ أغلبَهم بقيَ ثائراً بعيداً عن الثورةِ التي حلموا بها طويلاً، وكانوا مستعدين للموتِ من أجلها.. آه، كم كنتُ أكرهُكِ يا جامعةَ حلبَ قبلَ الثورةِ؛ وكم صرتُ أحبكِ بعدَ أن أصبحتِ جامعةً لكلِّ الثوار الأحرار!

أسبابُ الفشل الثّوريّ (2)

د. أحمد إدريس الطعان

تشتَّتَ المشروعُ (الوسطيُّ) المقابلُ للمشروع السَّلفي وضعَّفه، فَعُلماءُ الشام انقسموا إلى فريقَين: فريقٌ بقيَ مع النظام وأيَّده ورأى حُرمَة الخروجِ عليه، وليسوا هُم بالقِلَّة، بل هم كَثيرون، ولهم مكانتُهم ووزنُهم في التاريخ العلميّ والفكريّ لبلاد الشام.. هذا من حيثُ الواقع، بِغضِّ النظر عن كون النظام هو الذي صنعَهم وقرَّبهم وسلَّط الأضواء عليهم.

ومن هؤلاء: المفتي أحمد حسون، الفرفور، كفتارو، مصطفى البغا، البزم، عبد الهادي خرسة، رجب ديب، خورشيد، مدرسة البوطي، مدرسة أبو النور، القبيسيات.

ولفيفٌ من أساتذة كليَّة الشريعة: بديع اللحام، حسان عوض، محمد الشربجي، وغيرُهم الكثيرُ من الصفّ الثاني.. وهذا الفريق هو الذي يثبّتُ أركانَ النظام في داخل المجتمع السُّنّي، وهو الذي يقوّي دعائِمَه على مستوى الجيش والدَّوائر والمؤسَّسات الحكوميَّة، ويعطي الكثيرين من المؤيِّدين والقابِعين في مناطق النظام ودوائرِه نوعاً من التبرير والاستكانة والمُساعدة النفسيّة لاحتمال وغِّض الطَّرْفِ عن جرائم النظام الوحشية، وذلك بتحميل المسؤولية للمسلَّحين واعتبارهم إرهابيينَ وخارجينَ على المشروعية، وأنَّ جرائمَ النظام ما هي إلا ردودُ أفعالٍ ودفاعٌ عن النفس ضِدَّ مجموعاتٍ إرهابيةٍ مسلَّحةٍ مدعومَةٍ من الخارج!

أمَّا الفريقُ الثاني من علماءِ الشّام فيمثّلهم رابطةُ «علماء الشام» ورئيسُها الشيخ أسامة الرِّفاعيّ، ومؤسَّسة «زيد» ورئيسُها الشيخ سارية الرّفاعيّ، وشيخُ قرَّاءِ دمشقَ الشيخ كريّم راجِح. ثم لحق بهم متأخِّراً جِدّاً جدّاً الشيخ راتب النابلسي، بعد تردُّدٍ طويل الأمد!

وهذا الفريقُ حاولَ في الحقيقة جاهِداً، في بداية الأحداث، أن يُصلحَ بين الشعب والحكومة، وبذلَ جهداً للتقريب بين مطالب الناس وتوجُّهات الحكومة، وكان منذُ البداية مع الجماهير الثائِرة، حيث كانت تخرج المظاهراتُ من مسجد الشيخ أسامةَ الرفاعيّ؛ وقد شاركتُ في الكثير منها!

حاولَ الشيخُ أسامة ألا يقطعَ الصّلة بينَه وبينَ الحكومة من أجل إيجاد حلٍّ تقارُبيٍّ بينَ مطالب الناس ورغبة الحكومة. ولكن بعدَ صبرٍ ومحاولاتٍ ولقاءاتٍ كثيرةٍ نفدَ صبرُ العلماء، ليقينهم أنَّ الحكومةَ لا تريد أن تعطيَ شيئاً للأمَّة، لأنها بمجرَّد أن تتنازلَ عن شيءٍ، فإنَّ في ذلك انفراطُ منظومة الاستبداد ونهايتُها.

ومن هنا فقد خرج العلماءُ خارجاً ليقولوا كلمتَهم، لأنه لا يمكنُهم أن يقولوا شيئاً وهم في الداخل، فالقتلُ والتصفِيَةُ مصيرُهم.

وكان هذا ضروريّاً قبل أنْ تتحرَّرَ المدنُ الكبيرة، ولكن فيما بعد انعكس ابتعادُ العلماء عن مراكز الثورة والمدن المحرَّرة بشكلٍ سلبيّ، وشكَّل غيابُهم فراغاً خطيراً أدى إلى غياب المرجعيَّة القياديَّة، وعدم وجودِ شخصيَاتٍ كبيرةٍ قادرةٍ على لمِّ الشتات وتوحيد الصُّفوف وحسمِ الخلاف ومنعِ الشِّقاق...

لقد كان وجودُ الشخصيات الكبيرة سِنّاً وعِلماً وقَدْراً بين الثوار قادراً بكل يُسرٍ على توحيد الصفِّ الثاني

لطلاب العلم والمشايخ، لينعكسَ هذا أيضاً توحُّداً وَوِئاماً على الصفِّ الثالث، حتى نصلَ إلى قاعدةٍ ثوريةٍ موَحَّدة أو قريبة من ذلك. لكنَّ غيابَ هذه المرجعيات انعكس بشكلٍ خطيرٍ من جهتَين :

أولاً: تفرَّقَ طلابُ العلم وتشتَّتوا، وضعُفَ إصغاءُ الثوار لهم، ثم لحقوا بكبارهم في الخارج.

فأصبح لدينا في الخارج علماءُ من الصّفِّ الأوَّلِ والثاني والثالث، وبذهني أسماءٌ تمثل كلَّ صفٍّ؛ ولكني لن أذكرَ الأسماء تجنُّباً للشخصَنَة، وللخلاف حولَ التصنيف وغيره...

ثانياً: أصبحتِ الرَّعِيَّةُ بلا راعٍ، وأصبح الثوَّارُ والمجاهدُون لوحدهم في المَيدان، يسمعون لعلمائِهم في الفضائيَّات، ويسمعون عن اللقاءات والمؤتمرات والمشاوَرات، ومن ثمَّ التشكيلات والرَّوابط والمجالِس المتعدِّدة والمختلِفة، والتي لم تثمِر شيئاً بالنسبة لهم.

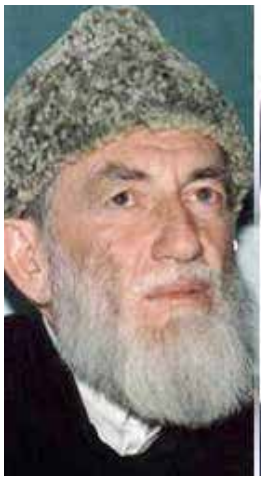

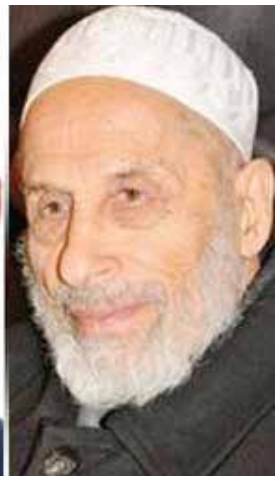

وبسبب وجودِ الغنائمِ والمرتزَقة وضِعاف النُّفوس والحالة المادِّيّة المُزرية وضعف الدَّعم، أدَّى ذلك إلى الخِصام والشِّقاق والنِّزاع والصِّدام والاقتِتال، فكان حالنا كحال الكِبَاش والخِراف المتناطِحة بلا راعٍ، وحولَها مجموعةٌ منَ الذِّئَاب المُحدِقة بها، تنتظِر الفرصةَ لتفترسَها واحداً تِلو الآخَر...

وإذا أضفْنَا إلى ذلك أنَّ الأغلبيَّةَ الساحِقةَ من المشايخ وطلاب العلم وغيرها من النُّخب، لم تلتحِق بالثورة إلا في وقتٍ متأخِّر، أو لحقوا مكرَهين بعدَ تحرُّرِ المدن وفقدانِهم لوظائِفهم أو مراكزهم، أو أصبحَ وجودُهم مع النظام يشكِّل خطراً عليهم من قِبل الثّوار، فلحقوا مكرَهين وليسوا مقتنِعين، مما جعل الشعورَ العامَّ لدى الثوار يفقدُ الثقةَ بهم، ويبقى مترددّا في قبول مصداقيَّتِهم.. والله أعلم!

السُّوَيداءُ في الثورة.. وضعٌ خاصٌّ ذو قرار!

مُنْ تُقفير

هل السُّوَيداءُ في خِضَمِّ حراك الثورة السورية ضدَّ نظام الأسد، أم أنَّها على هامشه، أم هي على طرَفِه البعيد، أم هي محايِدةٌ «إيجابيّاً أو سلبيّاً»، أم هي حربةٌ من حرابِ النظام في مواجهة الثورة؟

على الرَّغم من مرور أربع سنواتٍ على انطلاق ثورة الكرامة السُّورية، إلاّ أنَّ هناك بعض أبناء سورية، القريب جغرافياً من السويداء أو البعيد عنها، لا يزال يطرح هذه الأسئلة، بِسِرّه أو يوجّهُها لأول شخصٍ يقابله من أبناء المحافظة.

أمَّا لماذا؟.. فهذه الأسئلة لها مبرّراتُها من حيث الشكل، وفيها الكثيرُ من عدم المعرفةِ العميقةِ لمحافظة السُّويداء وظروفها وظروف حياة أهلها. وبعدَ أربع سنواتٍ من انطلاق الثورة وتَحوُّلِ سورية إلى أزمةٍ إقليميَّةٍ ودوليَّة، وقبلَ ذلك، إلى مَحرقةٍ للسُّوريّين، يحقُّ لنا أن ننقدَ المرحلة وننتقِدَها، ونضعَ النقاطَ على الحروف، ونسلِّطَ الضَّوء على الأماكن المظلِمة من واقع المحافظة وواقع أهلها، الذين لا يزيد عددُهم بأحسن الأحوال على نصفِ مليون نسمة، لا يعيش في السويداء سوى أكثر من نصفهم بقليل.

وهنا لابدَّ من الاستطراد قليلاً. فمحافظةُ السويداء تُعتَبر واحدةً من أفقر محافظات سورية، ويتندَّر عليها أهلُها بالقول: لا يوجد سوى معمَلَين؛ معملٌ للأحذية شبه متوقّف عن العمل، ومعملٌ للسَّجَّاد أكثر بؤساً من سابقه، و«تحت الطاولة» يوجدُ معملٌ للخُمور هو معمل الريَّان؛ ولعله الأكثرُ عملاً وإنتاجاً من سابقَيه. فقد انتهج نظام البعث مع محافظة السويداء، سياسةَ التهميش والتفقير، وزاد من سياسته هذه بعدَ إبعاد كلِّ الكوادر العسكريّة والسياسيّة من أبناء المحافظة عن قيادة سوريّة، باستلامِ حافظ الأسد الحكمَ بعد انقلاب ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٧٠، أو ما أُطلِقَ عليه حينَها «الحركة التصحيحية».

كانت سياساتُ التَّفقيرِ والتَّجويع والتَّهجير هي الوسيلةُ الوحيدة -

بنظره ـ لكسر شوكة المحافظة التي كانت منذ الثورة العربية الكبرى، مروراً بالثورة السورية الكبرى، وحتى حربِ فلسطينَ عام ١٩٤٨، وما تلاها من معارك، في المقدمة. والتاريخ السوريُّ يشهد على ذلك بالوقائع والرّجال وغيرهما. وبناءً عليه، تعتمد المحافظةُ على الزراعة البعليَّة كمصدرِ رزقٍ أساسيّ لأهلها، يلي ذلك اقتصادُ الاغتراب والمغتربين، حيث يكاد لا يخلو بيتٌ من مغتربٍ أو أكثر، إضافةً إلى العمل في الوظائف الحكومية، المدنيَّة والعسكريَّة.

أما ديمُوغرافيّاً؛ فيشكِّل أتباعُ مذهب التوحيد «الدروز» الغالبية العظمى من أبناء السويداء، حوالي ٩٥ ٪ من عدد السكان. وبسبب نظرية «تحالف الأقليات» التي تاجر بها بعضُ المنغَلِقين والشوفينيّين، فقد هرب كثيرُون من الحقيقة، لتُصنَّفَ المحافظةُ على أنَّها موالية، فهي ـ حسب النظرية السابقة ـ قرَّرتِ الانضمامَ لتحالف الأقليَّات، وبالتالي تحالفت مع الطائفة العلويّة. وهذا الحُكم بالطبع يُريح الكثيرين من البحث وعنائه.

وهنا لابدَّ من العودة قليلاً للوراء، والنظر إلى ظروفِ المحافظة والبحث فيها بالوقائع والحقائق.

أولاً - تمرُّدُ شبابِ محافظة السويداء ونُخبِها على النظام السوريّ وأمنه، بدأ بعد عامٍ واحدٍ فقط من رحيل سلطان باشا الأطرش ـ القائد العامّ للثورة السوريّة الكبرى (٢٦-٣-١٩٨٣) ـ حيث كان النظام يمنعُ الشبابَ من إحياء ذكرى وفاته، فتحدُثُ الاشتباكات مع أجهزتِه العسكريَّة والأمنيّة وأجهزةِ الشرطةِ في السَّاحات والطّرقات، وتُفضي إلى اعتقال العشرات سنويّاً. واستمرَّ الحالُ على ما هو عليه حتى ملَّ النظام، ولم يعُد يلاحق الشبابَ وترَكَهم وشأنَهم، وذلك بعد حوالَي عشر سنواتٍ من الاشتباكات.

ثانياً - بعد شهورٍ قليلةٍ من تسلُّمِ بشار الأسد الحكمَ في سورية خلَفاً لأبيه، شهدت محافظة السُّوَيداء أوَّلَ انتفاضةٍ على الظلم والاستبداد المتجذِّر فيها منذ عقود، فيما أُطلِقَ عليه حينها «أحداث البَدو» ـ بدايةَ تشرين الثاني عام ٢٠٠٠.

إنتفض شبابُ المحافظة عندما أقدم راعٍ على قتلِ أحد الطلاب؛ فتدخَّل الأَمنُ بصورةٍ همجيَّة، وكان الثمن سقوطَ ٢٣ شهيداً من شباب السُّوَيداء. والأدهى أنَّ النظامَ حينها حاول إعطاء الانتفاضة طابعاً طائفياً, عندما أوعزَ لمُراسلِي وسائل الإعلام الخارجيَّة المقيمِين بدمشقَ على الادِّعاء بأنَّ سببَ المشكلة هو منعُ الأهالي (الدُّروز) من بناء مسجدٍ لهم. فيما كانت المشكلةُ الحقيقيَّة هي تكرارُ تعدِّي البَدْوِ بأغنامهم على مزروعات وبساتين الأهالي، ومعرفتهم أنَّ هؤلاء الرُّعاة مدعومُون من قِبل الأجهزة الأمنيّة ومسلّحون تحت أعينهم. فحصل ما حصل ردّاً لا شعورياً على استبداد

سياسة

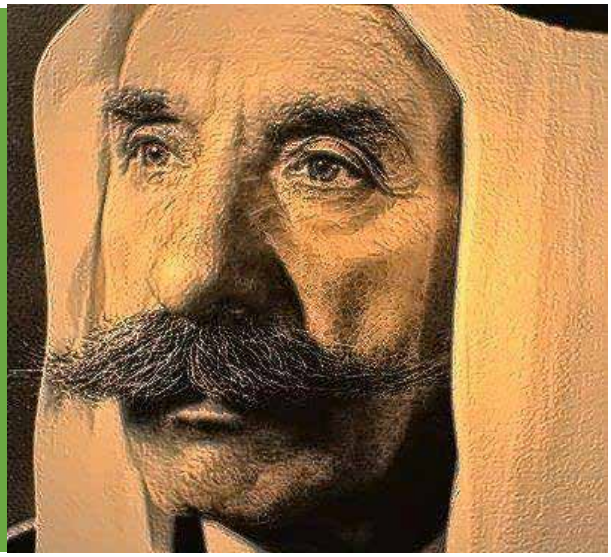

سلطان باشا الأطرش

الأمن، وزعْزَعَات النظام.
ثالثاً - خرجت في العام ٢٠٠٤ مظاهرةٌ في قرية الكَفر بالسّويداء ضمَّت عشراتِ الناشطِين، حامِلِين اللافتات التي تطالب بوقف العمَل بالأحكام العُرفيَّة، وفتحِ المجال للعمل السياسيّ. ومرّت دون أن ينتبهَ لها أيُّ سوريّ، ما عدا الأمن الذي اعتقلَ بعض المتظاهرين ونكَّل بهم. وبعد انطلاق ثورة الكرامة في درعا ١٨ آذار ٢٠١١، كان ناشِطُو السويداء من أكثر المستَجِيبِين لحراك جيرانهم في درعا، كما كان لصوت الثورة الحُرّ سميح شقير دوراً كبيراً في رصد وإشعال صوت الحرّية، ولم تَتَوانَ ابنةُ المجاهد سلطان الأطرش عن المشاركة الفعليَّة في الحراك الثوريّ، حيث تعرَّضت للكثير من التَّهديدِ والوعيد من النظام المجرِم. وتحرَّكت قوافِلُ الشباب الثوريّين للمشاركة في مظاهرات درعا وتقديم الدَّعم لها، مما كان سبباً لاعتقال الكثيرين من شباب وبنات المحافظة. كما تحرَّكت مسيرات «الشموع»، وأتى بعدَها اعتصامُ نقابة المُحامِين في ٢٨ آذار ٢٠١١، ليكون الأولَ على مستوى سوريّة.

ثم جاء اعتصامُ المهندسِين، وتلتْهُ مظاهراتٌ شعبيةٌ في أكثر من مكان، فعملَ النظامُ على تكثيف وجوده الأمنيّ، ونشر الحواجز التي قطَّعت أوصالَ المحافظة إلى أجزاءَ صغيرةٍ. كان النظامُ بالمرصاد لكلِّ تحرُّكٍ ثوريٍّ في السويداء، ولعلَّ ظاهرةَ الشبّيحة التي أوجدها من أبناء السويداء أنفسِهم، جاءت لقَسم المجتمع وجَرّ المُحافظة إلى الاقتتال الأهليّ. ولكن رغمَ كلِّ هذا لم يقفِ الناشطون الثوريُّون على الحِياد، بل شاركوا بكلِّ المظاهرات في المناطق السَّاخنة بحكم تواجُدِهم, بسبب العمل أو الدِّراسة. ولم يتوانَ بعضُهم على ترك دراسته وأعماله لينخرطَ في الثورة المباركة، كالشهيد تامر العوَّام المخرِج القادم من ألمانيا لتصوير ما يحدُث في الشمال السوريّ.
كما شاركوا في حَراك الطلاب، وكان الشهيد ساطع هنيدي أوَّلَ شهيدٍ يسقط على حاجز صحنايا في ٢٢ نيسان ٢٠١١. وتوالت مشاركة السويداء من خلال المظاهرات التي انتشرت على امتدادها. ففي ١٤ نيسان جرت مظاهرةٌ في شهبا، وتلتها في ١٧ نيسان مظاهرةٌ أخرى في القريا وشهبا ومدينة السويداء، وفي «جمعة آزادي» كان نصيبُ السويداء من الشهداء كبيراً. في الحقيقة لم يبتعِد الحَراكُ الثوريُّ في السويداء عن مثيله في المناطق السَّاخنة وإن كان بوَتيرة أقلّ، بسبب احتلال المدينة من قِبل الأمن والشبّيحة المُرتزقة، حيث عمدَ النظامُ إلى ملاحقة النُّشَطَاء واعتقالهم وقتلهم. ولعلَّ حادثةَ التفجير التي راح ضحيتَها صفوان شقير ورضوان وخلدون وباسل شقير لاتزال ماثلةً في الوجدان!
لقد نجحَ النظام إلى حدٍّ ما في إخماد جَذوَةِ الحراك من خلال ما بثَّه من إشاعاتٍ تهدف إلى خلق الخوف وزعزعة الأمن وزرع الرُّعبِ من التَّطرُّف الإسلاميّ، وعمَدَ إلى خلق الفتنة بين السويداء وجارتها درعا من خلال نشر عصابات الخطف

واتّهام الثائِرين بأنَّهم وراءَ عمليات الخطف والفِدية، وذلك لتشويه الصُّورة الثوريَّة وبثِّ الإشاعات والأقاويل التي تنال من الدُّروز (الشيخ الخليلي الذي تهجَّم على النساء الدّرزيَّات وسلطان الأطرش، وتبيَّن فيما بعد أنَّه صنيعةٌ أمنيَّة).

لم يترك النظامُ سبيلاً إلا وسلكَه لإذلال النَّاس ومحاولة تركيعِهم، فما كان من الشبابِ إلا أنِ انسحبُوا من أداء الخدمة الإلزامية، ويقدَّرُ عددُهم بـ ١١ ألف متخلِّف، خاصَّةً بعد قوافل القَتلى من الجنود الذين تمَّت تصفِيتُهم. كما عمَدَ النظامُ الأسديُّ إلى فصل الكثير من الناشطِين من أعمالهم، وصادر ممتلكاتِ البعض، وأثار المخاوِفَ والرُّعبَ بقتله للمعتقلين داخلَ السُّجون الأسدية.. لقد بلغ عددُ الشهداء تحتَ التعذيب حوالي ٣٠ ناشطاً!

السويداءُ تلك المحافظةُ المَنسيَّة الفقيرة، التي سجَّلت رقماً قياسياً في استقبال النازحين من المناطق السَّاخنة واحتضنتهم في بُيوت أهلها، ولم تَنصُب لهم الخيامَ بل شاركتهم بكلِّ مواردها، فكانت منطقةً آمِنةً اقتصادياً واجتماعياً، وملاذاً لكلِّ نازحٍ سكنَ بُيوتها، حيث تكفَّل سكانُها بإيوائِهم ومعيشتهم، بدون أيِّ مساعدةٍ من خارج حدودها. ولن يفوتَنا التذكيرُ بالانشقاقات السياسيّة والعسكريّة عن النظام, ولكنَّ تلك الانشقاقات لم تلقَ اهتماماً من المعارضة السياسيّة التي خذلت أبناء السويداء، فقد عمَدَ المجلسُ الوطنيُّ، ومن ثمَّ الائتلافُ، إلى تحييد الحَراك الثوريِّ في السويداء، فقام الضُبَّاطُ والجنود المنشقُّون عن النظام بتشكيل كتائبَ عسكريةٍ لم تلقَ أيَّ دعمٍ من المجالس العسكريَّة الثوريَّة، مثالها كتيبة «سلطان

المخرج السينمائي
تامر العوام

الأطرش» بقيادة الشهيد خلدون زين الدين، وغيرها من الكتائب التي تمَّ ترحيلُها إلى دُول الجِوار، ومنعُها من مُمَارسة العمل الثوريّ، حيث طُمِست مشاركاتُهم، وعملوا على إبعادهم عن الحراك الثوريّ، ليتسَنَّى للنظام تأكيدُ مقولة الاقتتال السُّنِّيّ ـ الشيعيّ. والأدهى من كلِّ ذلك، أنَّ وسائلَ الإعلام التي كانت تغطِّي أحداثَ الثوة السورية، عمدت إلى تجاهل أيِّ حراكٍ في المحافظة، ومن مصادرَ موثوقةٍ جداً، كان هناك تعميمٌ على غُرف الأخبار في كُبرَيَات المحطات التلفزيونية، بالتركيز فقط على الأحداث التي تجري في المناطق التي يتشكَّلُ سكَّانها من غالبيةٍ سُنِّيَّة فقط، وبخاصة عندما كان الرّهان كبيراً على تنظيم الإخوان المسلمين.

تشهد اليوم محافظة السويداء تصعيداً أمنياً خطيراً وسياسةَ تجويعٍ وإذلالٍ عمدَ النظامُ إلى حرمانِ الأهالي من المازوت والكهرباء ووسائل الاتصال كعقوبةٍ على تصعيد حراكهم، والذي تجلى بوضوحٍ في مهاجمةِ أبناء ناحية المزرعة للحواجز الأمنية وتدميرها، ومُصادرةِ عددٍ من صهاريج المازوت وتوزيعِها على الأهالي، مِمَّا شكل صدمةً للنظام الأمنيّ (وفيق ناصر)؛ الذي تعهَّد بمعاقبة أهلها أشدَّ العقاب.

اليوم، وها هي الثورة السورية توشِك على نهاية عامِها الرابع، وتستعدُّ لدخول عامها الخامس، ثمَّة أسئلةٌ كثيرةٌ تدور في الرُّؤوس عن السويداء، بخاصَّةٍ بعد أن تجلى الفرزُ الطائفيُّ أكثر، وبدأ تنظيمَا «داعش» و»جبهة النصرة» يستحوِذَان على القسم الأكبر من الحراك العسكريّ على الأرض السورية. فمحافظة السويداء، التي أنهَكَها النظام تفقيراً وتهميشاً، تُظلَم اليومَ أيضاً معنوياً، رغم أنَّ البراميلَ لم تسقط على بيوتها وأهلها.. صحيحٌ أنَّ الطائراتِ لم تُغِر على أراضيها، ولم تَقصِفها ساريات الصواريخ، ولكنَّ الصحيحَ أيضاً أنها تدفع اليوم أثماناً غالية.

وإن كان لابدَّ من النقد والنقد الذاتي للمرحلة بِرُمَّتها، فلابدَّ من القولِ إنَّنا بعد انتهاء الأزمة، نحن بحاجةٍ لعشرات الثورات، كي نعودَ لشعاراتِ بدايات الثورة؛ بأنَّ الشعبَ السوريَّ والدَّمَ السوريَّ واحدٌ، وسوريةَ واحدةٌ بأرضها وشعبها وكلِّ مكوناتها الدِّينية والعِرقية والأثنية...

النظام والأسلحةُ المُحرَّمة دوليّاً

بَدأَ النّظامُ السُّوريُّ استخدامَ البراميل المتفجّرة في كلّ أنحاء سوريَّةَ مع نهاية عام ٢٠١٢، وهي تُعتبَر من أسلحة القصف العشوائيّ. وكانت ٩٥ ٪ من تلك الهجَمات تستهدفُ المدنيّين، و٥ ٪ تستهدفُ مراكزَ ومواقعَ عسكريةً معارضة.

وقد تمَّ توثيقُ استخدام النّظام للبراميل، من يوم الاثنين ١ تشرين الأول ٢٠١٢ حتى الجمعة ٢٠ شباط ٢٠١٥، حيث ألقى أكثرَ من ٥١٥٠ برميلاً متفجّراً، أدَّت إلى مَقتل ١٢١٩٤ شخصاً (أكثر من ٩٦ ٪ مدنيُّون, وأكثر من ٥٠ ٪ هم نساءٌ وأطفال).

اِستخدمَ النِّظامُ غازَ الكلور ما يقارب ١٠٣ مرَّات، في ٤٠ منطقةً في سورية، أدَّت إلى مقتل ٩٥٠ شخصاً، و٤٠ مسلّحا، و٧ أسرى للنظام

(٩٠٣ مدنيُّون: ١٨٧، طفل، و١٦٢ سيدة). كما أُصيبَ ما لا يقلُّ عن ٣٢٠٠ شخص.
قتل ١١٤٢٧ شخصاً تحت التعذيب (٩٦ ٪ منهم مدنيُّون).
كما اعتَقلَ النظام أكثر من ٢١٥٠٠٠ شخص (بينهم ٦٥٨٠ امرأة، و٩٥٠٠ طفل).
منذ بَدءِ الاحتجاجات السِّلميَّة في آذار ٢٠١١ حتى ١٠ آذار ٢٠١٥، قامت قوَّاتُ النظام بقَتلِ ١٧٦٦٧٨ شخصاً مدنيّاً (بينهم ١٨٢٤٢ طفلا، و١٨٤٥٧ سيدة).
نسبةُ القتلى من النّساء والأطفال بلغت ١٩ ٪؛ وهذا يُعتبر قانونياً مؤشّراً قويّاً وواضحاً على تَعمُّدِ النِّظام استهدافَ المدنيّين.

ماذا يخبِّئُ المستقبَلُ لسوريَّة ؟؟

جوليان رايتشيلت *

عندما عَبرتُ الحدودَ من سوريَّةَ عائداً إلى تركيّا في آخِر مرَّة خريفَ عام ٢٠١٣، عرفتُ بأنَّ الأمورَ آيِلَةٌ للأسوَأ. لكن كان من الصَّعبِ تَصوُّرُ مدى سُوء الوضع الذي ستؤُولُ إليه الأمورُ حينذاك. ومنذ ذلك الوقت، فإنَّ سورية – البلد الذي أحبُّه أكثرَ من أيِّ بلدٍ عربيٍّ آخَر بسبب جماله، وحِسِّ الدَّعابة لدى أهله، وطعامه، وعلمانيَّته - قد تحوَّلت إلى جحيمٍ على الأرض. نظامٌ يمطِرُ شعبَه بالبراميل المتفجِّرة، وجيشٌ من المَجَانِين التكفيريّين الداعشيّين، يرهِبُ المدن والشعبَ، ويرسِلُ موجاتٍ صادمةً من الفيديوهات الرَّمادية لعملياتِ قطعِ رؤوسٍ حولَ العالم، ويدمِّرُ تُحَفاً قديمة، ويصلُب المسيحيّين وأقليَّاتٍ أخرى...

إنَّ سوريةَ التي زُرتُها عدَّةَ مرَّاتٍ من دمشق إلى حلب، بانفتاحِها الفريد قد اختفت من الوجود.. اليومَ نرى أنَّه من الصَّعب على سوريّة إيجادُ طريقِ عودتها إلى الحضارة. إنَّ كلاً من النظام والمجموعات المتطرّفة - مثل داعش - يجب أن يَذهبوا؛ لكنّه يبدو اليوم مستحيلاً. ومع ذلك، فإنه سيحتاج لسنواتٍ من أجل إعادة البناء، وإزالة الظلم.. يجبُ على الأطفال أن يعتادوا على أيَّام السِّلم الجديدة. – السِّلم، الذي من الصَّعب تخيُّله لسوريّة هذه الأيام!

ولكن عندما تحين ساعةُ إعادة الإعمار، يجب ألا تَنسى سورية أنْ تسلكَ الطريق الذي تبنَّتهُ عندما بدأت الثورة. هو طريق الوحدة والحُكم للجميع، حيث نشاطُ الناس يكون جزءاً من تشكيل المجتمعات، ليستفيدَ كلُّ الناس من ثروات البلد، وليس المسؤولين الحكوميّين الفاسدين. ويجب أيضاً أن يكون هذا الطريق خالياً من المرَض الفتَّاك الذي تعاني منه بلدانٌ كثيرةٌ في العالم العربي، مثل: الطائفية، إقصاء ٥٠ ٪ من السكان (معروفة بالنساء) من التقدُّم والإنتاج, نظريات المُؤامرة المختلفة التي تلقي اللومَ دائماً على الغرب والمخابرات المركزيّة الأمريكيّة وخططهم الشرّيرة المَزعومة أو على الإسرائيليّين...

أنا كَصحفيٍّ رأيتُ في سورية،

وكنت شاهداً على أنَّ العالم الغربيَّ تخلى عن الناس الذين ثاروا على نظامهم الوحشيّ. شاهدتُ كيف أنَّ الولاياتِ المتّحدةَ وبلدي ألمانيا، قد وقفوا مكتوفِي الأيدي عندما ألقى الأسدُ المتوحّشُ الغازاتِ السامَّةَ في غوطتَي العاصمة.

الإسلام السياسيّ الذي جعل الإسلامَ أداةً لتبرير نظرياتٍ إجرامية. إنها حقيقةٌ مؤلِمة أن ترى ٣٥٠ مليون عربيٍّ في العالم العربيّ, وقلّما تجد أحداً منهم يعيش بحرّيَّة!

وهناك حقيقةٌ أخرى مؤلمةٌ أن ترى المسلمين في العالم الغربيّ يتمتَّعون

في الرَّماد. لكنَّ السُّوريّين الذين عرفتُهم, كان لديهم القدرةُ والإرادةُ على النهوض ثانيةً ضدَّ السُّقوط, وضدَّ نظريّات الماضي, كي يُعيدوا بناءَ بلدهم الجميل.

أنا أعتقد بأنّنا يوماً ما سننظر إلى الوراء، إلى سنوات الحرب في سورية، ولن نشعرَ بشيءٍ سوى بالخجل من الأشياء التي لم نفعلها، مثل عدم تدخّلنا لحماية الأطفال من البراميل. ولكن أعتقد أيضاً بأنَّ العالمَ العربيَّ يجب أن يأخذ على عاتقه مسؤولية البُؤس الذي هو فيه. الغرب لا يُلام على العنف الطائفيّ الذي يمزّق ليس سورية فحسب، وإنما يمزّق بُلداناً عربيةً عِدَّة. العالمُ الغربيُّ ليس مسؤولاً عن إقصاء النّساء لقرنٍ كامل ـ وهو العنصر الوقائيُّ في أيّ مجتمع ـ من التفاعل الاجتماعي. يجب على العالَم العربيّ أن يقبلَ ويتغلبَ على مِحنة

بحُريَّةٍ أكثر من المسلمين في العالم العربيّ. إنَّ الشباب في العالم العربيّ يستحقّون نفسَ المعايير من الحرّيّة التي يتمتّعون بها في العالم الغربيّ. ويجب أن يتمتّعوا بحماية القانون نفسها من وحشيّة النظام، وبالحماية من جُنون المجموعات الإسلاميّة المتطرّفة واضطهادها. ولكن لكي يتحقّقَ ذلك يجب أن يدركَ الشعبُ بأنه فقط بالمساواة والثقافة العامَّة والعلوم، وقَبل ذلك بالإحساسِ القويّ لدى كلّ شخصٍ بامتلاك قدره، وهذا كله يفضي بنا إلى مستقبَلٍ أفضل.

ثارَت سورية من قَبل ضدَّ أكبر نظامٍ إجراميٍّ؛ واليوم يرقُد البلدُ

* يُعتبَرُ جوليان راشيلت من الصّحفيّين الشباب الموهوبين في ألمانيا، لذلك تمَّ تعيينُه ـ رغم صغر سِنّهِ ـ رئيسَ تحريرِ أكبرِ دارِ نشرٍ في أوروبا «أكسل شبرنجر». وقد زُرنا معاً حلبَ عدَّة مرات؛ وفي نهاية كلِّ زيارة كنتُ أرى مدى تأثره وحُزنه... علمتُ مرَّةً أنه دخل في نقاشٍ حادٍّ مع وزير خارجيّته بسبب عدم مساعدة الثورة، تلك المناقشة سبَّبتْ قطيعةً مؤقّتة مع وزير الخارجيّة.. وها هو الآن يُسعِدُنا بالكتابة لمجلة «المرآة» ...

from: sectarianism, the exclusion of 50 percent of the people (known as women) from progress and productivity, the kind of conspiracy theroies that always shift blame to “the west” or the CIA and their allegedly vicious plans or the Israelis.

As a reporter in Syria I have seen and witnessed first-hand how the western world abandoned the people who were rising up against their brutal regime. I witnessed how America and my own country, Germany, were standing idly by when the monstrous Assad gassed children in the streets of the capital. I strongly believe that we will look back at the years of the Syrian war one day and feel nothing but ashamed for all the things we did not do, for not intervening, for not protecting children from being barrel-bombed. But I also believe that the Arab world has to accept responsibility for the misery they are in. The west is not to blame for the sectarian violence that is tearing not only Syria but many other Arab countries apart. The western world is not responsible for a century-old tradition of excluding women - the protective element in any society - from public debate. The Arab world has to accept and then ultimately overcome the crisis of political Islam where religion is being instrumentalized to justify murderous ideologies. It is a sad fact that among 350 million Arabs in the Arab world there hardly is one living in freedom. And it is another sad fact that Muslims enjoy more liberties and opportunities in the Western world than in any Muslim country. The youth of the Arab world deserve to, one day, enjoy the same standard of living, the same protection by law from state brutality, the insanity of Islamist groups and oppression. But to achieve that people have to realize that only equality, worldly education, science and, first of all, a strong sense of ownership for ones fate will lead to a better future.

Syria rose up before against the most brutal regime. Today the country lies in ashes. But the Syrians I have come to know have the capacity and the will to rise up again, against failed ideologies of the past, and rebuild their beautiful country.

The future of Syria

Bild

By JULIAN REICHELT

When I crossed the border from Syria back into Turkey for the last time, in the fall of 2013, I knew that things were going to get worse. But it was hard to imagine, even then, how bad it was going to be. Since then Syria, a country I love more than any other in the Arab world for its beauty, its people, its sense of humor, its food, its secularism, has turned into hell on earth. A regime that rains barrel bombs at its people. An army of godless psychopaths - ISIS - that is terrorizing cities and communities and is sending shockwaves of grizzly beheading videos around the world, destroying ancient artefacts, cruzifying Christians and other minorities. The Syria I visited so many times, from Damascus to Aleppo, with its unique openness has ceased to exist.

Today it's hard to see how Syria could find its way back to civilization. Both, the regime and extremist groups like ISIS would have to go which seems unlikely today. And even then years of rebuilding would be needed, grievances would have to be overcome, children would have to get used to the new times of peace. Peace - that is hard to imagine for Syria these days.

But when the moment to rebuild comes, Syria should not forget to follow the path they once embraced when the revolution started. It's a path of inclusion and ownership where people actively take part in the shaping of their communities, where they profit from their country's riches, not only corrupt government officials. But it should also be a path that leaves behind desease large parts of the Arab world are suffering

إنّ الإنسانَ لَيَطغَى

عفراء جلبي

مع جُرأة النظامِ السُّوريّ في استخدام الكيماويّ مؤخّراً، فإنّنا نرى أنَّ جرائمَه صارت أوراقَ الأشعّة التي تكشِف أورامَ العالم الخبيثة. لا يمكِنُ للنظام السوريّ أن يرتكبَ جرائمَه ضدَّ المدنيّين والمواطنين في ظلّ القانون الدّوليّ. ما يحدث يدلُّ على انعدام هذا القانون الدوليّ. ما نراه في الوضع السّوريّ هو انفلاتٌ قانونيٌّ ليس داخلَ سورية فحسب، وإنما عالميّاً أيضاً. فالأمَمُ المتَّحدة منظمةٌ عالميةٌ فاشلةٌ تكوَّنت بعد الحرب العالمية الثانية، بعد فشل سابقتها عصبة الأمم. فقد قرَّرَ الذين خرجوا مُنتصِرين من الحرب تكوينَ واجهةٍ قانونيةٍ لنظامهم العالميّ الجديد، تفرض سيطرتهم, لكن بمكياجٍ له رائحةٌ مؤسَّساتيّة. في هيكليّتِها نجد العُطل الجينيَّ في الأمم المتّحدة، والذي وظيفتُهُ إعاقةُ تكوُّن وتطوُّر القانون الدوليّ. مجلس الأمم مصمّمٌ بالتحديد للقيام بالمهمَّة غير المستحيلة، وهي إعاقة القانون والديمقراطية في العالم. بل هو رمزٌ لتكريس الديكتاتوريّة في أعلى مستوياتها، فأعضاؤها الخمسة الدائمِين لهم حقُّ الفيتو وبيدهم إيقافُ أيُّ قرارٍ دوليٍّ حتى ولو كان عليه إجماع الجمعية العامَّة. أي لو اتَّفق العالَم كله على قرارٍ مصيريٍّ ومُهمّ، يستطيع أي (فرتُوك) من هؤلاء «الكبار» أن يوقفَ قرار العالم كله! تماماً كما رأينا على مدى نصف قرنٍ مع القضيّة الفلسطينيّة من قِبَل الولايات المتحدة، وأربع قرارات فيتو لإعاقة الحلّ في سورية من قِبل الثنائيّ الرّوسيّ الصينيّ. تصوَّروا إذن منظّمةٌ دوليةٌ اسمُها «الأمم المتحدة» ليس للأمم فيها صوتٌ، رغم اجتماعها جميعاً في مؤسسةٍ من المفروض أنَّها ترمُزُ لمفاهيم سيادة القانون وحقوق الإنسان. تصوّتُ الأممُ كلها في الجمعية العامة لكن ليس لأصواتها صدى. فلو صرخوا ما سمعتَهم، هذا لأنَّ أيَّ قرارٍ يصدُر عن الجمعية العامة التي تضمُّ عضوية هذه الأمم قراراتها غير مُلزِمة. وإنما نرى القرارات المُلزمة أو إيقاف القرارات فقط من مجلس الأمن النَّخبَوي الذي يمثله أقوياء العالم. إذا لم تكن هذه التركيبة هي تماماً جِينات الدكتاتورية بِعَينها، فما هي إذن؟

الأمم المتحدة منظمةٌ دكتاتوريةٌ بامتياز، ولذلك هي واجهةٌ إعلاميةٌ تزيّن قَبَاحات العالم، وليست أداةً لتكريس وتقوية القانون الدوليّ. نعم هناك نكتةٌ اسمُها «قانونٌ دوليٌّ» يتدارسه بعضُهم، وهناك محامون يتخصَّصُون في القانون الدوليّ. لكن كيف يكون هناك قانونٌ دوليٌّ وليس له أيَّةُ شرعيَّة، ولا أدواتٌ لفرض شرعيَّته.

نحن نعيش الآن في عالمٍ يُفتَقَد فيه القانونُ الدوليّ، حتى بِبُذوره الأوّليّة، لأيَّ آليَّاتٍ لفَرض أيِّ شيءٍ أو منع مجازرَ ومصائبَ على مستوىً دوليّ. هناك تنديدٌ، هناك شجبٌ، هناك توعُّدٌ بشعاراتٍ وكلمات.. وهناك كتبٌ على الرفوف، وهناك تقاريرُ وأوراقٌ كثيرة...

بعضُ الدول تتصرَّف بمَحضِ إرادتها لحماية مصالحها، كما فعلت أمريكا مع العراق، أو الناتو مع ليبيا، وأحياناً قليلة جداً بعد أن تصيرَ الأرقام مُخجِلة مثل ما حدث في البوسنة أو تيمور الشرقية. ولكن حتى التدخُّلات لأسبابٍ «إنسانيّةٍ»، والتي تكاد تكون شبه نادرة، تكون تحالفاً أو تدخلاً لدولة لوحدها، وليست تحت سيادةٍ مشترَكةٍ تليق بأممٍ متَّحدةٍ تعمل تحت قانونٍ دوليٍّ مشترَك.

الإشكاليَّةُ الكبيرة إنسانيةٌ قبل أن تكون محليةً أو مؤسساتية. نحن هنا أمام مُشكلة الطاغوت، والتي نجد أنها أحدَ البرامج التشغيلية فيما يسمَّى بـ «الإنسان»؛ أو ربما هو فيروسٌ نفسيٌّ قد تمكَّن من هذا المخلوق. تماماً كما نجد الوصف في القرآن، ففي السورة الأولى التي نزلت على محمد ﷺ نجد أنَّها أرْسَتِ الأزمةَ الإنسانيَّة في مُشكلة الطغيان: (إنَّ الإنسانَ لَيَطغَى)! وتماماً كما عبَّر كثيرٌ من علماء النفس وأوَّلُهم سيغموند فرويد عن مفهوم «التسلط المطلق» الذي يريد أن يحقّقه الإنسان، ليشعر بأمنٍ داخليٍّ وتحكُّمٍ بعالَمه الخارجي. فالإنسان يشعُر بضعفٍ عندما يشعر باحتياجه للآخرين، ولذا يريد التحرُّرَ من شعور إمكانية فُقدان الأمن والاتّكال على الآخرين بالاستغناء عن كلِّ شيء. وكأن هذا وهمٌ كبير، ولا يمكن أن يستغنيَ الإنسانُ عن الآخر ولا عن الأرض والماء والهواء. ولهذا جاء في القرآن الكريم : (أَنْ رَآهُ استَغنَى)، أي هكذا يتراءَى للإنسان «يرى» نفسَه مُستَغنياً عن الآخرين، بينما هو في حقيقته دائماً في حالة تكافُلٍ واعتمادٍ على كلِّ شيءٍ حوله من أخيه الإنسان وعائلته وأمَّته، ومن غذاء الطبيعة وأرضها التي تحمِلُه في كلّ لحظة.

وبما أنَّ الهَوَسَ بالقوَّة والتخلص من الاعتماد على الآخرين، أو تحكّمهم, نزعةٌ مُتغَلغِلةٌ في دَوَاخل الإنسان, فقد يتشاءَم البعض في إمكانيّة الخروج منها أو الانفِلاتِ من قبضتها. لكنّ الحلَّ كما يراه بعضُ علماء النفس يكمُنُ ليس في

انتزاع نزعة الاستبداد والتسلّط من الإنسان، ولكن بالتوازن مع «الآخَر»، لأنّ الآخَرَ لمَّا يرفض الانصياع الكُليَّ يجعله مضطراً لخلق علاقةٍ ذات اتجاهَين وليست ذات اتجاهٍ واحدٍ فقط. وهذا ما نجد صداه أيضاً في نهاية سورة العلق. لأنَّ الحلَّ الذي يعطيه القرآنُ هو ليس في «يَقَظة» الطاغية الأخلاقيّ، وإنما في عِصيَان الذي طغى عليه، حيث يقول له: (كلا تُطِعْهُ). أيْ أنَّ الخروجَ من لعبة الطغيان والاستبداد لن يتحقّقَ بإصلاح الطاغوت، وإنما بِيَقظة وَوَعيِ الطرف الآخَر، لأنَّ رقصةَ الطغيان تحتاج لطرفَين، ويمدُّها بالحياة طرفَين. ولأنه ليس مِن مصلحة الطاغية أن تتغيَّرَ اللعبة، ولكن مِن مصلحة المظلوم، فهناك أملٌ أكبرُ في فَهم العَدلِ والمُساواة عند المُستضعَفين. وهنا بيتُ القصيد، فالظلمُ العالميُّ الذي يحدث اليوم لن يتغيَّرَ بدون يَقَظَة الشعوب واستعادة توازُنها. ونحن نرى نماذجَ حققت هذا بعد أن هَوَت في انهزاماتٍ كبيرة. اليابان بعد الحرب العالمية الثانية وهزيمتها بعد رميِ القنابل الذريّة غيّرت توجُّهاتها العسكرية نحو نهضةٍ علميّةٍ اقتصاديّة، وها هي من الكِبَار. تماماً كما فعلت أيضاً ألمانيا. ونرى في نماذجَ أقربَ أيضاً تركيا والبرازيل اللتان رَزَحتا تحت ديكتاتورياتٍ عسكرية، وها

سياسة

هما تستعيدان عافِيَتَهما وتدخُلان في حُكمٍ مدنيّ، وتسدِّدَان ديونَهما للبنك الدوليّ، وتَخرجان من حلَبة الضُّعفاء الفقراء. وهو أيضاً ما أنهى الطاغوت داخلَ السِّيَاق الغربيّ عبر قرونٍ عديدةٍ مؤلمة. فالإصلاح الغربيُّ لم يحدث فجأةً وكلّف الشعوبَ أثماناً عاليةً حتى تعلموا الدروس. وحتى إقليمياً تقاتلوا فيما بينهم، وقاموا في العصر الحديث بحربَين عالميَّتَين شنيعَتَين، ودمَّروا مُدُنَهم ومَسحوا عواصمهم. ولكنّ الدروسَ القاسية جعلت الغرب، وخاصَّةً الأممَ الأوربيّة تخرج من لعبة الاستبداد والدمار.

ولهذا عندما نعرف (وين الله حاططنا) ـ يعني فعلاً نفهم السياق

العالميّ والجيوسياسي حولنا ـ فإننا سنبدأ بوضع استراتيجيَّاتٍ للخروج من الأزمة الاستبدادية، ولن نفكِّرَ كثيراً بالاعتماد على الأمم المتّحدة أو النظام الدوليّ لتحريرنا. وعلينا أن نفكِّر ونَحُكَّ رؤوسَنا كثيراً في كيفيّة النجاح في وضع استراتيجياتٍ تخفِّف الأثمانَ في عملية الولادة إلى العالم الجديد, والتي هي ربَّما الأهمّ في القرن الحديث لأمم المنطقة حول البحر المتوسط وما حولها. فشعوبُ هذه المنطقة غُيِّبت علمياً وفكرياً، وما تزال تحتاج لمُراجعاتٍ ثقافيّةٍ وروحيّة متعدِّدة الجوانب حتى تستعيدَ فاعليَّتها وحضورَها، وتكونَ قادرةً على فَرضِ التوازن مع الطاغية (المحليّ والعالميّ بوجهَيهما البشِعَين), بحيث تنتهي اللعبة من أساسها، ولا يتكرَّر النموذجُ المريض الذي نراه الآن.

لقد حقَّق الغربُ توازناتِه الوطنيّةَ إلى حدٍّ كبيرٍ وخرج من منظومة الطاغوت في بُعده الداخليّ، لكنّه ما يزال يلعب دَورَ الطاغوت العالميّ، ولا يستحِي مُمَثلو سياساتهم الخارجية بأن يتصرفوا مثل العصابات تجاه الآخرين، وخاصَّة المدنيّين في دُول العالم الثالث. ولقد رأينا الفشلَ الأخلاقيَّ الذريع تجاه مجازر الإبادة التي حدثت في رواندا ـ لم تكن للأقوياء «مصالح» هناك ولا «بترول» ـ ولهذا علينا أن نفكِّر جدّياً في نشر أفكارٍ جديدةٍ لخلق تحرُّكٍ يزيد نِسَبَ النجاح ويخفف الأثمان. وربما هذا من أهمِّ القضايا التي يجب أن يفكّرَ بها أصحابُ الفِكر والخِبرة.

ولكن نحن مازلنا لم نحقّق التَّعافيَ الداخليّ. وعندما نحقّق هذا فسيصبح بالإمكان فعلياً أن نتطلعَ نحو خَلقِ توازنٍ دوليٍّ نبدأ فيه بشكلٍ واقعيٍّ بالدفع نحو تطوير قانونٍ دوليٍّ ووضع آلياتٍ ومؤسَّساتٍ قادرةٍ على حماية سيادة القانون على مستوىً عالميّ، توقف مباشرة أيّ طرطور يريد اختطافَ شعبٍ لصالح عائلةٍ أو قبيلة. وإلى حينها فليعملْ كلٌّ على خلق توازنٍ خارج مفاهيم الطاغوت في كلِّ ما يقوم به في حياته الخاصّة والعامة، وأن يصنعَ علاقاتٍ فيها احترامٌ متبادَلٌ وتعارُفٌ وتعاطفٌ حقيقيّ.

سياسة

ديمُقراطيَّةُ الأمَمِ المتَّحدة و إنسانيتها المَفقودة

بقلم رئيس التحرير
ياسر الحجّي

في البداية كانت هناك «عُصبة الأمم»، والتي أُنشِئَت عام ١٩١٩ واستمرَّت حتى عام ١٩٤٥، حين اقترح الرئيسُ الأمريكيُّ أن تتغيَّرَ العصبة وتصبحَ هيئة؛ إذ تمَّ تسميتُها «الأمم المتحدة». والغاية منها الحفاظُ على الأمن والسِّلم العالميّ والتعاون الاقتصاديّ والاجتماعيّ بين الدّول، وكذلك من أجل حماية حقوق الإنسان.

وقد صدر قرارُ تشكيلِ الأمم المتّحدة تشرين الأول ١٩٤٦، في مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية، عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث كان للمُنتَصرين اليدُ الطُّولى في وضع أسُسٍ وأنظمةٍ وطرقِ عملٍ لها تخدم مصالحَهم. في حين صدر الإعلانُ العالميُّ لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ عن الأمم المتّحدة، وتمَّ تشكيلُ لجنةٍ منها لحماية حقوق الإنسان UNHRC.

تتألف الأمَمُ المتَّحدة ممَّا يلي:

- الجمعيَّة العامَّة
- مجلس الأمن
- مجلس الوصاية
- محكمة العَدل الدّوليَّة
- المجلس الاقتصاديّ والاجتماعيّ

يبلغ عددُ أعضاء الأمم المتّحدة ١٩٣ عضوا، وآخِرُ من انضمَّ إليها هو جنوبُ السودان. أمَّا التمويلُ فتُشارِك فيه معظمُ الدّول الأعضاء بالتمويل، تَتقدَّمُهم أمريكا بـ ٢٢ ٪ من الميزانيّة، ثم تليها اليابان بـ ١٢،٥٣...

مَجلسُ الأمن

يتألف من ١٥ عضواً, خمسةٌ منهم أعضاءُ دائمون (أمريكا، بريطانيا، فرنسا، الصين، روسيا)، وعشرةٌ آخرين غيرُ دائمين، يتمُّ انتخابُهم من قِبَل الجمعيَّة العامَّة لمُدَّة سنتَين فقط.

الفصلُ السَّابع

يُعتبَرُ أيُّ قرارٍ يصدرُ تحتَ الفصل السابع بدايةً لعقوباتٍ شديدة، وقد تصِلُ إلى مرحلة استخدام السِّلاح ضدَّ الدولة التي صدَر ضدَّها القرارُ، لأنَّ الفصلَ السابعَ مخصَّصٌ لأيِّ أمرٍ يُعتبَر تهديداً للأمن والسِّلم العالميّ.

حقُّ النَّقض (الفيتو)

في البداية تمَّ إعطاءُ صلاحياتٍ خاصَّةٍ للدّول الدائمة العُضويَّة يَحِقُّ لها الاعتراضُ على أيِّ قانونٍ يصدر عن مجلس الأمن، ثمَّ حوَّلت الدُّولُ الخَمسُ حقَّ

الاعتراض إلى حقّ النقض (الفيتو). ويعني ذلك أنَّ أيَّة دولةٍ من الدُّول الخَمس تستطيع تعطيلَ أيَّ قرارٍ يصدر عن مجلس الأمن. وقد استعملت روسيا هذا الحقَّ أكثرَ دولةٍ من دُول مجلس الأمن (١٢٣ مَرَّة، ثلاثة منها لحماية بشار الأسد: بتاريخ ٤ تشرين الثاني ٢٠١١، وكذلك في ٤ شباط ٢٠١٢، وفي ١٩ تموز ٢٠١٢). بينما استعملت أمريكا هذا الحق (٨٧ مَرَّة، ٣٦ منها لحماية إسرائيل). كما استعملت بريطانيا (٣٢ مَرَّة)، وفرنسا (١٨ مَرَّة). والصِّين (٨ مَرَّات)...

الدِّيمُقراطيَّة المَعدُومة

من خِلال دراسة تاريخ الأمم المتَّحدة والقرارات الصَّادرةِ عنها، وخاصَّة من قِبل مجلس الأمن، نجد أنَّ انعدامَ الدّيمقراطيّة، حتى إنَّ بعض القرارات تَتَنافى

مع مبادئ حماية حقوق الإنسان والمُحافظة على الأمن والسِّلم الدّوليّ. وخيرُ مثالٍ على ذلك الفيتو الذي استعملتْهُ روسيا خلالَ الأزمة السّوريّة؛ والذي منع المجتمع الدوليَّ اتِّخاذ اجراءاتٍ حاسمةٍ ضدَّ نظام الأسد المجرم، وقد أدَّى ذلك إلى توسُّع ساحات الصّراع وانتقاله إلى دُولٍ مُجاورة ـ بطريقةٍ أو بأخرى ـ وتدخل مليشيات ومرتزقة ودول ـ كإيران ـ في الأزمة السُّوريّة.. كذلك استُخدمت الأسلحةُ المحرَّمةُ دولياً، مما تسبَّبَ في قَتل مئات الآلاف من المدنيّين، وعشرات الآلاف ماتوا تحت التعذيب. وهذا أكبرُ دليلٍ على أنَّ الأممَ المتَّحدةَ تحكُمها المصالحُ الخاصَّة للدول الكبرى، وليس حماية حقوق الإنسان أو الأمن والسِّلم الدّوليّ...

سياسة

الجيشُ الوطنيُّ الحُر: الحلمِ والواقع

العقيد أبو وليد

بعدَ اندلاع الثورة السوريَّة بفترةٍ وجيزةٍ ظهرت كتائبُ الجيش الحُرّ بشكلٍ فطريٍّ وعفويٍّ كردَّةِ فعلٍ على جرائم النظام بحقّ المواطنين المتظاهرين العُزَّل، وسرعانَ ما ظهرت تشكيلاتٌ ثوريةٌ في مختلف المناطق السورية بشكلٍ عشوائيٍّ وسريع، حيث حقّقت هذه التشكيلاتُ نجاحاتٍ ممتازةً وانتصاراتٍ مذهلةً.. وفي مرحلةٍ لاحقةٍ دخل العملُ العسكريُّ، في مُنحنَياتٍ مختلفة نتيجة تدخُّل الكثير من القوى ـ داخلياً وخارجياً ـ بما فيها النظام، فاختلط الفكرُ الجهاديُّ والإسلاميُّ المتشدّد، وظهرت أيضاً تشكيلاتٌ عسكريةٌ مُتَأسلِمة، أي بمعنى أخر، اتخذت برفعها الشعاراتِ الإسلامية ذريعةً لتنفيذ أهدافٍ عسكريةٍ وسياسيةٍ معيَّنة. بالإضافة إلى كتائب الجيش الحرّ الذي شهد انكماشاً، وخسر الكثيرَ من المناطق التي حرَّرها أمامَ هذه التشكيلات الجديدة، وعلى حسابه.

وفي هذا السياق شهدت الساحة محاولاتٍ خجولةً لبناء الجيش السوريّ الحرّ، كما في تجرُبةِ العقيد رياض الأسعد والعميد مصطفى الشيخ، ثمَّ تمَّ تشكيلُ هيئةِ أركانِ الجيش السوريّ الحرّ، والمجالس العسكرية، حيث تعاقب عليها مجموعةٌ من الضبَّاط..

احتكر هذه المؤسسةَ مجلسٌ سمِّيَ بـ «مجلس الثلاثين»، والذي يضمُّ مجموعةً من القوى والضباط الذين أنيطَ بهم ترشيح ضباطٍ آخرين لعضوية هيئة الأركان، فانحصرت تشكيلاتُ الأركان من خلال تقاسُم «مجلس الثلاثين» لمقاعد هيئة الأركان. في حين تسابق معظمُ العاملين على الساحة العسكرية للتودُّدِ إلى الغرب، والأمريكان بشكلٍ خاصٍّ، ممَّا ساهم في استخفاف هذه الدُّول بتلك القوى.

إنَّ سببَ تأخُّرِ بناء ما يُسمَّى بـ «الجيش الوطنيّ» يعود لعواملَ كثيرةٍ ومتشعّبة، من أهمّها:

الصّراعاتُ السياسيّة للمعارضة من أجل تمثيل الشعب السوريّ، ومغازلةُ المعارضة للتشكيلات العسكرية القائمة على الساحة ومحاولة ترويضِها عبرَ الدَّعم الماليّ واللوجستيّ، وتسابقُ معظم الدّاعمين والسياسيّين إلى كسب وُدِّ الفصائل المسلَّحة في الداخل، حيث ساهم ذلك في تعقيد الأمور، ليتحوّل كثيرٌ من قادة الثورة إلى أُمَراءِ حرب؛ فتارةً تَرفع بعضُ الفصائل شعاراتٍ إسلاميةً بناءً على رغبة الجهة الداعمة، وتارةً أخرى تقوم بإلغائها حالَ توفّر داعمٍ أخرَ أفضل!

إنَّ الكثيرَ من الدماء السورية الطاهرة التي أُريقَت على معظَم التراب الوطنيّ، ذهبت نتيجةَ صراعاتٍ بينَ الفصائل المختلفة، واستفاد منها النظام وحلفاؤه

بشكلٍ كبير، بل وساهم في ذلك عبرَ وسائلَ مختلفةٍ، منها: جيشٌ ضخمٌ جداً يعرف بـ «الجيش السوريّ الإلكترونيّ»، وطابورٌ خامس منتشِرٌ ومتغلغلٌ في بعض التشكيلات السياسية والعسكرية للمعارضة...

في ظلِّ هذه التَّداعيات، طرح الكثيرُ شعاراتٍ ضخمةً وجهوداً فرديةً لبناء الجيش الوطنيّ، بالاستناد لواقع الحال والاعتماد على تلكَ الفصائل الموجودة على الساحة.. هذا خطأٌ كبيرٌ وقع فيه أغلبُ القادة والسياسيين!

إنَّ عمليةَ بناءِ جيشٍ مسألةٌ ضخمةٌ جداً، لأنَّ بناءَ الجُيوش يحتاج إلى سنوات: ابتداءً بالتعبئة، وانتهاءً بالتسليح والتدريب.

كثُرَت النداءاتُ ـ في الآونة الأخيرة ـ لبناء هذا الجيش، وخاصَّةً بعد المُرَاوحة في المكان لأكثر من ثلاث سنواتٍ لم يحقّق خلالَها الجيشُ الحرُّ والفصائلُ الأخرى أيَّ مكاسبَ على الأرض؛ لذلك فإنَّ الاستمرارَ على هذا الوضع، وخاصَّةً بعد قيام «الدولة الإسلاميّة» واستنزافها للرصيد البشريّ السوريّ في معارك عين العرب (كوباني) والعراق، بالإضافة إلى الاقتتال الذي يشهده الريفُ الشمالي، من خلال صراعِ جبهة النصرة مع باقي التشكيلات والفصائل، وانتشارِ ظاهرة الفساد والتشرذُم في معظَم كتائب الجيش الحُرّ...

في ظلِّ فقدان الثقة بينَ الدّاعمين، والذين ارتَدَوا عباءةَ الثورة ومارسوها فقط على مواقع التواصل الاجتماعي، وشراء بعض مراسِلي قنوات البثّ الفضائيّ، وانهيار الحاضنة الشعبية المثخَنة بالجراح والتشرُّد، لذلك تقتضي الضرورة، وبالسرعة القُصوَى، البدءَ جدّياً بطرح مبادراتٍ يمكن تحقيقُها، من خلال تشكيلٍ عسكريٍّ نموذجيّ، وبناءً على نجاحه يتمُّ استنساخُه على كامل التراب السوريّ، وذلك عبرَ قرارٍ سياسيٍّ يصدُرُ عن مُمَثِّلي المعارضة السورية لدى المجتمع الدولي، أي بمعنى آخرَ مؤسساتٌ معترفٌ بها دولياً.

يصدر قرارٌ عن هذا التشكيل، كمُمَثلٍ شرعيٍّ ووحيدٍ للشعب السوريّ، بإحداثِ وحدةٍ عسكريةٍ نموذجيةٍ تنسجمُ مع حاجة مسرَح العمليات الحاليّ، وأقترحُ أن يكونَ لواءُ مشاةٍ ميكانيكيّ، يقوم على أساس عقيدةٍ عسكريةٍ وطنية؛ ويزجُّ به في إحدى مناطق الصراع بعد جاهزيّته.

يُبنَى هذا التشكيلُ من خلال إعداد:

١- مذكرةِ تفاهمٍ واضحةٍ وصريحةٍ مع الجانب التركيّ حول تأمين مركزَي تعبئةٍ على الحدود السورية التركية، وذلك لضمِّ الشباب المتطوعين للعمل ضمن صفوف هذا التشكيل، والذي يُعتبَر نواةَ الجيش الوطنيّ السوريّ، بالإضافة إلى مركزَي تدريب.

٢- ترشيح قيادةِ هذا اللواء من خلال اختيار مجموعةٍ من الضبَّاط وصف الضبَّاط والأفراد.
إنَّ بناءَ جيشٍ وطنيٍّ أولاً يجب أن يتمَّ ليس عبرَ تصريحِ مسؤولٍ أو وزيرٍ أو رئاسةِ أركانٍ من المعارضة السورية، وإنما عبرَ قرارٍ واضحٍ وصريحٍ يصدُرُ عن أعلى مؤسسةٍ معارضةٍ بالخارج. وأقصد هنا الائتلافَ، حيث يمكنه تبنّي عدَّة قراراتٍ متعلقة بهذا الشأن، على أن تكون بالإجماع، لبناء جيشٍ وطنيٍ يمثل كافَّةَ شرائح المجتمع السوريّ، ويضمُّ أغلب مكوناته. وذلك عبر:
١ ـ إصدارِ قرارٍ سياسيٍّ بإنشاء الجيش الوطنيّ السوريّ الحرّ.
٢ ـ إصدار مذكّرةٍ تنفيذيةٍ تتضمَّن الآلياتِ التالية:
ـ فتح باب التطوع للشبَّان السوريّين للانتساب كضبَّاطٍ وصفِّ ضبَّاط ـ حسب الحاجة
ـ وإخضاعهم لدوراتٍ مكثفة لا تتجاوز الستة أشهُر، وذلك لتأهيلهم, أمَّا محلياً، أو بمساعدة دولٍ صديقة، على أن يتمَّ تعيينُهم كضباطٍ أو صفِّ ضباطٍ من خلال قرارٍ سيادي.
ـ إعداد مراكز تعبئةٍ مختلفةٍ على الحدود التركيّة السوريّة، يمكن إعطاؤها أسماءَ شهداءٍ بارزين من الثورة السورية، كالشهيد المقدَّم حسين هرموش مثلاً.
ـ مراكز تدريبٍ يمكن أن تكونَ ضمن مراكز التعبئة.
ـ قرار سياديّ يبرِمُ عقوداً لمدة خمس سنواتٍ مع المقاتلين المنتسِبين لمراكز التعبئة، تتضمن الحقوقَ والواجباتِ والمزايا التي يتمتَّع بها المتعاقدون.
ـ إعداد مذكَّرةٍ قانونيةٍ تتضمَّن عملَ مؤسسةِ القضاء العسكريِّ أيضاً وفقَ المعايير الدولية.
ـ تشكيل لواءِ مُشاةٍ ميكانيكيّ بالسرعة القصوى اعتماداً على مجموعةٍ من الضباط لتشكيله خلالَ فترةٍ أقصاها شَهرٌ.. يتكون هذا اللواء من:
١ ـ الضباط المنشقِّين، سواءٌ العامِلين أو المتقاعدين، والعاملين في صفوف الثورة السورية، على أن تُراعَى النقاط التالية:
ـ أن يكون عاملاً على إحدى الجبهات ضدَّ النظام لمدَّةِ عامٍ على الأقلّ.
ـ ألّا يكونَ متورّطاً بقضايا جنائيّة، مثل: نهب المال العامّ، أو الاتّجار بممتلكات الغير، أو الممتلكات العامّة...
ـ أن يكونَ متمتّعاً بكفاءاتٍ عسكريةٍ متميّزة.
٢ ـ صفُّ الضبَّاط المنشقّين أو المتقاعدين، وبنفس الشروط

الواردة في حقل الضبَّاط.
٣ ـ الأفراد المتطوعون من خلال مراكز التعبئة بعدَ تأهيلهم.
٤ ـ الأسلحة المعتمَدةُ في لواء التشكيل هي الأسلحةُ التقليدية والمعروفة، والتي يمكن الاستعاضَةُ بها عن الآليات الثقيلة كالمدرَّعات والدبابات، مثل: البيك أبات المزوَّدة بمدافعَ مختلفةٍ بشكل أوليّ. مهمّةُ هذا اللواء إملاءُ الفراغ في المناطق التي تنسحب منها التشكيلاتُ العسكرية بالمناطق المحرَّرة، بما فيها المناطقُ التي تنسحبُ منها «الدولة الإسلامية».
٥ ـ تأسيس القواعد والمقرَّات للتشكيلات الأخرى والمشكّلة لاحقاً، وإسناد المهامّ لها.
٦ ـ إعدادُ المناطق الواقعة تحت سيطرته لتسليمها للإدارة المدنية المختلفة، وتأهيلُ مقرَّات الأمن الداخليّ وتسليمه لها حسب الأصول، وتجهيزُ مقرَّاتِ إدارةِ القضاء ومؤسساته.
٧ ـ تجهيزُ مقرَّات القيادة السياسية والحكومة المؤقتة وتأمينُها إن اقتضت الحاجةُ لذلك.
٨ ـ تأمينُ المعابر الحدوديّة وتجهيزُها وتسليمُها للإدارة المدنيّة المختصَّة.

ويمكن لمن أرادَ أن يُساعدَ الثورةَ السوريّة وبناءَ قوةٍ عسكرية، أن يقدّمَ تجهيزات وحدةٍ عسكريةٍ كاملة، وبدون الدخول بالتعقيدات المتعلقة بدفع الأموال، حيث يعقبُ ذلك سَمْسَرةٌ وعمولات، وما شابه ذلك.. كذلك يمكن الاستفادةُ من التجربة الكرديّة، حيث زجَّ الأكرادُ، بالتعاون مع قوى التحالف، بوحداتٍ عسكريةٍ مُجَوقلة كاملة العتاد والسلاح، لتدخلَ المعركة مباشرة.

وعلى سبيل المعلومات: في العادة يتكوَّنُ اللواء من ثلاث كتائبَ وسريّة قيادة، أي أنَّ لواءَ المُشاة يتكوَّن من ثلاث كتائب مُشاة وسريّة خدمات للّواء. والعددُ يختلف من دولةٍ إلى أخرى، إذ يتراوح بين ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ مقاتل؛ وهو أصغر وحدةٍ مقاتِلةٍ مستقلة عن الفرقة. ولكنْ في الجيوش الحديثة يكون هناك مجموعة لواء، أي أنَّ مجموعةَ لواء المُشاة يتكوَّن من ثلاث كتائب مُشاةٍ أساسيّة تضافُ إليه كتيبة دروع من الدبابات، وكتيبة مدفعية، وكتيبة خدمات تسمى كتيبة الإمداد والتموين تخدُمُ جميعَ الكتائب من طبٍّ وتموينٍ وصيانةٍ ونقلٍ واتصالات.. تكون مجموعةُ اللواء أكثرَ استقلالاً لأيَّة مهمَّة.

إنَّ طريقَ المِئَة ميل يبدأ بخطوة، وتحتاج هذه العملية إلى جهودٍ مخلصةٍ وحقيقية؛ لذلك علينا جميعاً ـ في الذكرى الرابعة لقيام الثورة السورية ـ أن نتحلّى بروح المسؤولية، ونواجهَ الحقيقةَ المُرَّةَ بمزيدٍ من الجُرأة والعَزمِ على التّصدّي لكلّ العقبات وتذليلها، وصولاً إلى نتيجةٍ مشرفةٍ ترفع المعاناة عن شعبنا المظلوم، الذي قضَى: إمَّا قتلاً، أو غرقاً، أو تشريداً...

الدِّينُ ومَورُوثُ السَّلاطين

لينا موللا*

يهدُفُ الدِّينُ حينَ ولادته، إلى إقامةِ ثورةٍ تهدُفُ إلى تغيير العادات والسُّلوكيَّات المجتمَعيَّةِ السَّائدة، ينادي بمزيدٍ من العدالة في تقسيم الثروة والمُسَاواة في توزيع الحقوق مانِحاً الرضى لكلِّ المظلومين، وإلى ترسيخ القِيَمِ الأخلاقيَّة التي تحكم علاقاتِ البشر، وتدعو إلى طاعة الخالق العادل الرَّحيم المُحبِّ...

لكنَّ التعاليمَ الدِّينيَّةَ سُرعانَ ما تصطدم بمصالحِ وامتيازات المتنفذّين وأصحاب السُّلطة، مِمَّا يدفعُهم لمحاربته عبرَ التمسُّك بالمَوروث الثقافيّ والمجتمعيّ المتجَذِّر، والذي يُبقيهم سادةً للقوم ويحفظ لهم مصالحَهم.. بعضُ الأديان استطاع كسْرَ الطَّوق وانتشر بفعل قدرة المُهَمّشين على كسر أصفاد العبوديّة تجاه مستعبِديهم، وبعضُهم فشِلَ وتلاشى...

تُصبح قدراتُهم جبَّارةً متى وصلوا إلى القناعة بوجود قدرةٍ عُليَا تُنصِفُهم وتقِفُ معهم في مواجهة الجَور، فإنَّهم يهُبُّون للمقاومة، يحدُوهمُ الأمل بتحسين الحال والانفكاك عن هيمَنَة المستبدّين.

يُخبرنا التاريخُ أنَّ تسليمَ المتحكّمين والمتنفذّينَ بالدِّين الجديد وادِّعاءَهم بالإيمان كان شكلياً منفعياً، وهم في خطوةٍ لاحقةٍ أقدموا على ركوب المَوجة إلى أن تسنَّى لهم الاستيلاءُ على العرش من جديد، لكن هذه المَرَّة باسم الدِّين بدَلَ الموروث القديم، حيث تجري عمليَّةُ تطويعِه في الخَفاء، بتسلّلِ آلافِ الأكاذيبِ والقِصص التي تعيد لهم امتيازاتِهم وقدراتِهم، مؤمِّنةً لها الديمُومَة والاستقرار؛ معتَمِدين هذه المرَّة على قُوَّةِ الايمان الجبَّارة التي اعتملت في صدور المؤمنين، وذلك لتطوير سلطاتهم وثرواتهم، والدُّخول في حروب، كلُّ هذا لمصالحهم التي تشكِّل جلَّ اهتماماتهم، وإلهَاء شعوبهم بآلاف المشاكل الفرعيَّة.

لا بأسَ من اعتبار الدِّين الجديد رمزاً للدَّولة الجديدة، ومن جَعل ما جاءَ به هدفاً معلناً إلى حين حسمِ الصِّراع لصالحهم، سنجدُهم يوعِزون لرجال الدِّين من بِطانتهم إلى اختلاق هذه القصصِ والأكاذيبِ وإقحامِها في التَّعاليم الدِّينية، وهي في أغلبها تأمُرُ المؤمنينَ بطاعتهم وعَدَمِ مجابهتهم كجزءٍ من طاعتهم للخالِق .

وهكذا يتمُّ تطويعُ الثورةِ الدِّينية لمصلحة المُستَبدِّين من رجال الدِّين والملوك والأمراء.

ومع تكرار ترْدَادِها تتولّدُ القناعةُ على أنَّها من صحيح الدِّين، لا بل هي واحدةٌ من أركانه الأكثر

أهميَّةً، بحيث يُصبح من يتجرَّأ على تجاوُزِها، وكأنَّه يرتكب الكبائرَ التي تبيح قتلَه بأبشع الطرق.
يصبح مَن يطالب بالإصلاح والإضاءة على هدفِ الدِّين الحقيقيّ كافراً وعدوَّ اللهِ والشّعب، وهكذا تمَّ التخلّصُ مِن عشرات الآلاف من المصلِحين الذين أرادوا تنقيةَ هذا الدِّين مما لحقه من شوائبَ أقحمَها المستبدُّون والطغاة، والإضاءة على جماليَّاته بمَعزلٍ عن مصالح الحُكَّام وأطماعهم.. الدِّين في النهاية علاقةٌ إيمانيَّةٌ بسيطةٌ بينَ الإنسان والخالق، وإقحامُ الحاكمِ ومؤسساتِه الدّينيَّة في تفسيرها وأدلجتها هو لترسيخ سلطانه!
هكذا يفهم الكثيرون الأحزابَ الدّينيَّة التي تحاول استثمارَ قوَّةِ الايمان بالخالق في تنفيذ مشاريعها للاستيلاء على السُّلطة، لكن ما يهمُّ الإنسانَ اليومَ ليس بقاءُ السلطان على كرسيِّه مورِّثاً صُلبَه مِن بعده، هذا الإنسانُ تطوَّر عبرَ المعاناة الطويلة ليطالبَ بما هو أكثرُ من الدعاء لله في مَنْحِه حاكماً عادلاً.. إنَّه يطالب بتداوُل السُّلطة، وبأن يكونَ هو مصدراً لهذه السلطة؛ فما يهمُّ الإنسانَ عبرَ التاريخ هو تحقيقُ المساواة وتحسينُ مستويات العيش، وهو أمرٌ لا يوافق مصالح المستغِلّين .

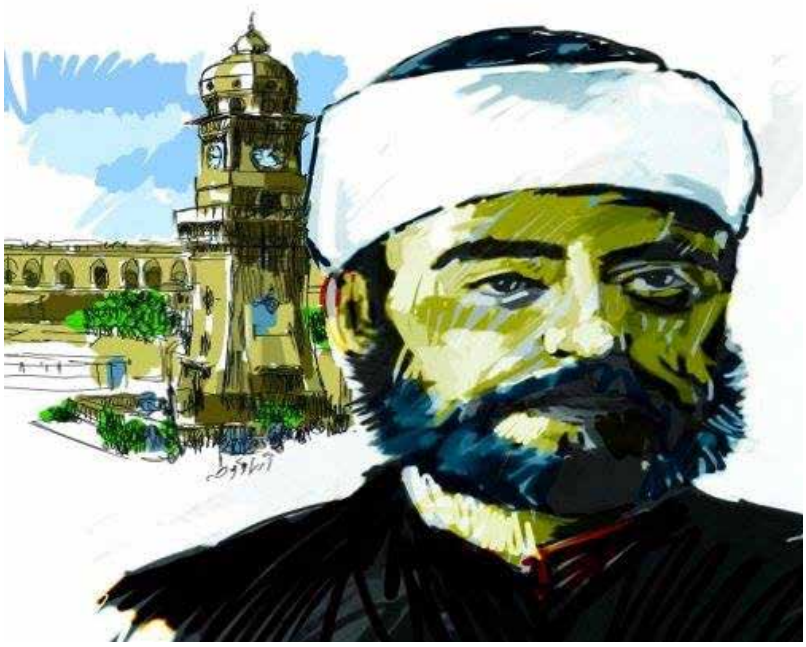

ثوراتُنا اليوم يتمُّ استيعابُها والاستيلاءُ عليها بذات الطريقة، عبرَ المتنفذِّين والحكّام للبقاء جاثِمين فوقَ الصُّدور، عبرَ الإفادة من الموروث الدِّينيّ الذي ساهم أجدادُهم بتضليله واستغرقوا لأجل تسويقه أجيالاً كثيرة، وهم يقاومون بشراسة.
يتمُّ استثمارُها أيضاً من قوىً خارجيةٍ لأجل صناعة التَّطرُّفِ الذي يعتمد على ما هو مدسوسٌ في تعاليم الدِّين، التطرُّفُ الذي يكفل لأن تتحوَّلَ منطقتُنا إلى بؤرةٍ للنزاع تسهِّل تحقيقَهم لمصالحهم، ويُبيحُ تواجدَهم متى شاؤوا.
في النتيجة يبقى الإنسانُ المسحوقُ هو الضَّحيَّة؛ ضحيَّة ما هو مدسوس، ضحيَّة تراخِيه وقلّةِ غيرته على نقاءِ وفضائل التعاليم الدينيّة التي يؤمن بها متناسِياً هدفَها الحقيقيَّ، ليتحوَّل ضحيةَ انغلاقه وتسليمه بكلِّ ما يسمع ولو كان مخالفاً للمنطق.
إننا نعيش اليومَ جزءاً من صراعٍ أزليٍّ لأجل تحقيق المصالح؛ ويبدو أنَّنا مدعوُّون اليومَ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى، للتفكير مليّاً : لماذا نحن اليومَ راضِخُون؟ وكيفَ نقطع دابِرَ الحكّام والمستغِلّينَ مِن الجُثوم فوقَ صدورنا أكثر؟ وكيفِ نَخرُج من هذه الدّائرة المغلَقة نهائيّاً؟

*لينا مولا

صوتٌ من أصوات الثورة السُّوريَّة

العلاج المنطقيّ للمريض السُّوريّ

د. حمزة رستناوي

لقد كانت الثورةُ السورية في أحد احتمالاتها فرصةً لإحداث تغييرٍ وانتقالٍ من نظامٍ استبداديٍّ شُموليٍّ (حداثوي) إلى نظامٍ ديمقراطيٍّ علمانيٍّ سعى لمواطنةٍ متساوية؛ ولكنّ المؤشرات ـ وفي السنة الرابعة للثورة / الحرب الأهلية السورية ـ لا تبشّر بخير.

المنطق علمٌ مِعياريٌّ موضوعهُ طرائق التفكير، ويُعنى بتمييز الصحيح منها، وهذا أمرٌ نحتاجه نحن السوريّين لنطلقَ أحكاماً - إن أمكن - معياريةً تقوم على قرائنَ قابلةٍ للتدقيق، هروباً من حالة الذهول واللامبالاة التي أصابتنا، وبعيداً عن الأحكام المزاجية والانفعالية القاتلة..

يفاجئوننا بهذا الحضور الكبير لخطابٍ جِدالي/ سفسطائي ـ وليس الجدلي - خطاب رائج يعتمد على تزوير الحقائق وتقديم مُعطياتٍ غير صحيحة، أو أنّه يستخدم المغالطات المنطقية، والمُعطيات في هذه الحالة قد تكون صحيحة، ولكن مع حُجَّة مضطربةٍ غير سليمة. هذا النمط من الخطاب الجِدالي/ السفسطائي ينطلق من النتيجة ويسعى لتدعيمها بالحُجَج والأسباب، أي أنَّهُ تفكيرٌ مقلوبٌ تبريري. ومِنَ المعلوم أنَّ التبريرَ المنطقيَّ هو إحدى الآليَّات الدفاعية ـ المعروفة جيداً في علم النفس - والتي يلجأ إليها الفرد لتبرير السلوك.

الاعتراض الأوّل:

إنَّ «الإنسان بطبعه كائنٌ غيرُ منطقيّ»، لا بل وغيرُ عقلانيٍّ إلى حدٍّ كبير، والتفكير المنطقي ليس العاملَ الأهمَّ في سلوك الأفراد والجماعات، وقد أخذ علمُ النفس ـ مع التحليل النفسي - على عاتقه استكشافَ هذه الآليات والاستجابات المتحكّمة في المواقف والسلوك الإنسانيّ متجاوزاً في ذلك دور «علم المنطق»، وبالتالي لا فائدةَ تذكّر من كشف المغالطاتِ المنطقية في الخطاب السياسيّ والثقافيّ السوريّ، ما دام المنطق بحدّ ذاته لا يلعب سوى دوراً قليلاً فيما يجري.

التعقيب:

بالتأكيد إنَّ الإنسانَ ليس روبوتاً آلياً، ولا يُفترض به أن يكون كذلك، وكذلك قد لا يكون التفكيرُ المنطقيُّ والعقلانيُّ هو المُحدّد الأبرز في موقف وسلوك الكينونة الاجتماعية، سواءً أكانت فرداً أو جماعة. ولكنَّ الناس بشكلٍ عامٍّ وعبر العصور لديهم القابليةُ والقدرة أن يكونوا أكثرَ أو أقلَّ عقلانيّة، وقد ازدادت هذه الإمكانية إلى حدٍّ كبيرٍ في العصر الحديث مع بزوغ عصر التنوير، والمنطق الأرسطي يزوّد مستخدِميه بالقدرة على كشف تناقض الحُجَج وتناقض الفِكَر مع ذاته (صوريّة البرهان)، بما يُكسبهم المزيدَ من الثقة بالنفس والقدرة على حلّ مشكلاتهم. إنّ المنطقَ معيارٌ وقاسمٌ مشترَكٌ كامنٌ بين البشر، غير متأثرٍ نسبياً بالأبعاد الأخرى اللغوية والقوميّة والبيئيّة والعقائدية الدينية لهم، فتقنيَّاتُ المنطق الأرسطيّ في كشف المغالطات بشكلٍ عامٍّ مفيدةٌ من ناحية تعزيز البعد العقلانيّ, وهذا لا يتعارض ولا يُزاحم العلومَ النفسية، لا بل إنّ واحدةً من أهمّ النظريات المستخدَمة في علم النفس السريريّ والإرشاد النفسي تستند

إلى التفكير المنطقي، وما يُسمَّى بالعلاج النفسيّ الانفعاليّ العقلانيّrational emotive psychotherapy
فوفقاً لهذه النظرية إنّ المعتقداتِ وأساليبَ التفكيرِ اللاعقلانية هي السببُ الكامنُ وراء الاضطرابات النفسية التي نعيشها، أي أنَّ هناك تفاعلاً بين: التفكير والانفعال والسلوك، فالإنسانُ العقلانيُّ عادةً ما يكون ناجحاً وذا فعاليةٍ في محيطه، مبدِعاً كَفُوءً في مجال الأبحاث والعلوم وحلِّ المشاكل وإدارة الأزمات، وينعكس ذلك في شعورٍ من التقدير والكفاءة والسعادة، على النقيض من التفكير الانفعاليّ العاطفيّ الذي هو تفكيرٌ متحيّزٌ غيرُ منطقيٍّ ذو طبيعةٍ ذاتيّة متطرّفة.
إنّ الارشادَ النفسيَّ الانفعاليَّ العقلانيّ، ونقدَ مغالطات الخطاب السياسيّ والثقافيّ، لا يؤتي ثمارَه عادةً في الأشخاص العقائديّين والمجتمعات الدينيّة المغلقة، وهو أقلُّ تأثيراً عند المراهقين، ولذلك نجد أنَّ المليشياتِ العقائديةَ المتقاتِلةَ – داعش نموذجاً - غالباً ما تستميل الأطفالَ والمراهقين (ما دون سن ١٨) للقتال في صفوفها، وتنفيذ عملياتٍ انتحاريةٍ بعد إعدادٍ و برمجةٍ دماغيةٍ خاصّة. وهذا ما يبرّرُ ضرورة وجود مقارباتٍ نفسيةٍ وثقافيةٍ أُخرى لمساعدة هذه الفئات، مقاربات تتكامل وتعزّز من تأثير بعضها.
وكذلك الإرشادُ النفسيُّ الانفعاليُّ العقلانيُّ ونقدُ الخطاب السياسيّ والثقافيّ القائم على المغالطات، لا يؤتي ثمارَه عادةً عند الأشخاص والمجموعات الحاكِمة صاحِبَةِ الامتيازات والمستفيدة من السلطة، لوجود مصالحَ ماديةٍ ومعنويةٍ تحجُبها عن الإدراك، وعادةً ما

تكون هذه الفئاتُ متورّطةً باستخدام نفوذها في وسائل الإعلام، في تجهيل المجتمع وتعزيز التفكير اللاعقلانيّ القائمِ على المغالطات لاستمرار واستثمار الصّراع. ولكنَّ الإرشادَ النفسيَّ الانفعاليَّ العقلانيّ، ونقدَ الخطاب السياسيّ والثقافيّ القائم على المغالطات يُسهم في إضعاف تأثير هذا الخطاب لدى المجموعات المُستهدَفة، وتقوية مناعة الأشخاص والمجتمعات تجاه التضليل.

ثمّ إنَّ هيمَنَةَ التفكير الانفعاليّ غير العقلانيّ - كما في المجتمع السوريّ- ما هو إلا صفةٌ مكتسَبةٌ بفعل البيئة والثقافة والتعليم، وليس بمُعطىً أوّليٍّ يجب احترامُه.

باختصار، إنَّ تعزيزَ التفكير العقلاني، وتنميةَ الحسِّ النقديِّ تجاه الخطاب السياسي والثقافي القائم على التدليس والمغالطات، هو خطوةٌ أساسيةٌ لتجاوُز المجزرة السورية والتأسيس لمستقبلٍ أفضل.

الاعتراضُ الثاني:

إنَّ «المنطقَ الأرسطيَّ علمٌ عقيمٌ تجريديٌّ» يبحث في الكليَّات التي ليس لها وجودٌ في الواقع، وإنّ العلومَ بشتّى أنواعها قد تطوّرت وإنَّ كبارَ العلماء والباحثين عبرَ التاريخ لم يكن لديهم معرفةٌ بالمنطق الأرسطيّ وتقنياته.. يقول ابن تيمية: «إنَّنا لا نجد أحداً من أهل الأرض حَقَّق علماً من العلوم، وصار إماماً فيه بفضل المنطق، لا من العلوم الدينية ولا غيرها، فالأطبَّاءُ والمهندسون وغيرُهم يحقِّقُون ما يحقّقون من علومهم بغير صناعة المنطق» («مجموع الفتاوى» لابن تيمية «٩/ ٢٣»).

وينتج عن هذا أنّ التعرّفَ على القياس المنطقيِّ الأرسطيّ وكشفَ المغالطات المنطقية ليسَ ضرورياً، ولا حتّى مفيداً في تفهّم الثورة / الحرب الأهليّة السورية، والخطاب السياسي والثقافيّ المتعلّق بها.

التعقيب:

بدايةً ننطلق هنا من تأويلٍ خاصٍّ ينظرُ إلى المنطق الأرسطيّ كمنطقٍ صوريّ، وكتفكيرٍ استدلاليٍّ يهتمُّ بمُعاينة انسجامِ الفكر مع نفسه، وبالتالي يستطيع تزويدَ مستخدمِيه بتقنياتِ كشف المغالطات المنطقية وعيوب الخطاب، فهو أشبه ما يكون بالمنطقِ الفطريّ وما قد يشير إليه عموم الناس عبرَ العصور كتفكيرٍ سليم common sense، فما نُسمّيه بالمغالطة المنطقية يستطيع الإنسانُ النَّبيهُ صافي الذهنِ اكتشافَ خَطَلِها، بغضِّ النظر عن معرفته بالمنطق الأرسطيّ. إنَّ التفكيرَ المنطقيَّ / العقلانيَّ هو أحدُ نماذج التفكير المُمكِنة والمُتنوّعة، وقد وُجد قبلَ أرسطو (٣٨٤ -

٣٢٢ ق.م.) مع ظهور الإنسان الثقافي، ولكنه النموذجُ الأكثرُ كفاءةً في مجال الأبحاث والعلوم وحلِّ المشاكل وإدارة الأزمات. وأما بالنسبة لموضوع المنطق الأرسطيّ، فيبقى محاولةً بشريةً جريئةً لاكتشاف الحياة وقَونَنةِ منطق الأشياء، وحتّى كِبَار منتقدِي المنطق الأرسطيّ عبر التاريخ كانوا يستخدمون نفسَ مفاهيمِ وأدواتِ هذا المنطق لانتقاده في دلالةٍ بالغةِ الأهمّية. وإنَّ البحثَ الذي عرضناه سابقاً عن المغالطات المنطقية والتّمثيل عليها بنماذجَ من الخطاب السياسيّ والثقافيّ المتعلّق بالثورة / الحرب الأهلية السورية، يكفي لدحض الانتقادات الموجّهة للمنطق الأرسطيّ بكونه منطقاً نظرياً مجرّداً ضعيفَ المردود قائماً على الكُليَّات العقليَّة.

كتابٌ جديدٌ للدكتور حمزة رستناوي
الإعجازُ العلميُّ تحتَ المجهر

«دارسةٌ نقديةٌ تطبيقيةٌ في ظاهرة الإعجازِ العلميِّ في القرآن الكريم»

الناشر: موقع دار الكتب - مصر / القاهرة، ط١.
٢٠١٥. عدد صفحات الكتاب: ٢٠٧

عبد القادر الصالح... ثورة

حارث عبد الحق

إذا كانت الثورة تعني التغيير الجذري في حياة الأمم والشعوب فهي لاشكّ كذلك في حياة الأفراد لأنّ الفردَ هو اللبنةُ الأولى في المجتمع.

لقد كان عبد القادر الصالح ثورةً على نفسه أولاً وثورةً على قِيم المجتمع الفاسدة.

كانت الثورةُ الأولى في حياة عبد القادر الصالح ثورتَه على ذاته في بداية شبابه... عبد القادر الذي نشأ في أسرةٍ مكونةٍ من عددٍ كبيرٍ من الأفراد، كان أصغرهم عبد القادر. فكان الطفلَ (المدلّل) في الأسرة. شبّ عبد القادر كما يشبُّ الشباب في عموم سورية على اللهو والسهر مع أقرانه في الحيّ وزملائه في المدرسة، فكان سبّاقاً في الألعاب واللهو, ما جعله يهملُ المدرسة التي كان متفوقاً فيها في المرحلة الابتدائية.

وفي سنوات مراهقته الأولى تلك، كان يصطحبه أحد أشقائه في رحلات الصيد إلى البادية.

وتحصلُ الثورة الأولى في حياته - ثورته على ذاته - عندما كان في السادسة عشر من عمره، حيث توفي شقيقه بعد إصابته بمرض السرطان الذي لم يُكتشف إلا في مراحله المتأخرة.

فجأةً تحوّل هذا الشاب من حياة اللهو واللعب إلى حياةٍ أخرى تفوقُ تلك الحياة السابقة سعادةً، وإن لم يكن فيها من اللهو ما في تلك الحياة.

بدأ عبد القادر يلتزم بالفرائض الإسلامية - التي كان يؤديها من قبل دون التزام - ثمّ انضمّ إلى جماعة «الدعوة والتبليغ» وهي جماعة إسلامية دعوية تدعو الناس إلى الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي في حياتهم الشخصية وأحوالهم، لكنها تنبذ السياسة ولا تتدخل فيها من قريب أو بعيد ولا يعنيها الشأن العام للبلد. يتميز أفراد هذه الجماعة بالبساطة في لباسهم وحديثهم وعلاقتهم مع الناس فيغشون مجالسهم و يحدثونهم و يشاركون الناس مناسبتهم في الفرح والحزن ويستغلّونها في سبيل الدعوة إلى منهجهم, ويتحمّلون في سبيل ذلك الغمز واللمز والسخرية والاستهزاء أحياناً.

تميّز عبد القادر بين أفراد الجماعة بسبب ذكائه وفطنته وقربه من الناس, وابتسامته ولطف معشره والصدق الذي ينبعث من كلامه ومطابقةِ سلوكه لكلامه، فكان له حضورٌه المُميّز ومكانته الخاصة بين أقرانه ومحبة في قلوب الكثير من أبناء بلدته ومعارفه، وزاد في هذه المحبة عمله - فيما بعد - في التجارةً، حيث كان مثالاً للداعية الصادق والتاجر السمح الأمين.

وجاءت الثورة الثانية، فكانت ثورةً

بورتريه

على الذات والمجتمع، فقلةٌ قليلة من الدعاة وعلماء الدين من لمحّت تلميحاً فقط بتأييد الثورة السورية. ولكن عبد القادر كان من الذين ثاروا على ذلك فلا قيمةَ لكلّ حياته الدعوية السابقة، ولا قيمة لإيمانه والتزامه إن لم ينصر الحقّ ويقف في صفّه. فاختار أن يكون في صفّ الشعب المظلوم مهما كلّفه ذلك! لم يصعُب على الشاب الذي ثار على نفسه في المرة الأولى وانتصر على انخراطها في اللهو واللعب، أن يثور عليها وعلى منظومة الفساد في المرة الثانية. وظّفَ عبد القادر كلّ طاقاته وإمكانياته في إنجاح الثورة والدفع بركبها نحو الأمام، كيف لا وهو الذي يؤمنُ: (وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى. وأنّ سعيهُ سوفَ يُرى). كان لعبد القادر بشخصيته المحببة وعلاقاته الطيبة مع الناس جميعاً أثرٌ كبيرٌ في إقبال الكثير من الناس على الثورة، وإزاحةِ هواجسِ المُتخوفين والمترددين.

كانت روح الثائر ترافقُ عبد القادر خلال أيامِ الثورة كلّها.. الثائرُ الذي لا يستسلمُ للواقع مهما كان الواقع مظلماً. كانت هذه الروح تظهر في المواقف العصيبة، فتبث روح الأمل والتفاؤل والإصرار في النفوس. شهدتُه في أصعب المواقف التي يضعُفُ فيها القويّ ويأسُ المتفائل، شهدته بعد اجتياح قوات النظام للريف الشمالي في شهر نيسان ٢٠١٢، كيف استطاع تنظيم الصفوف بعد الاجتياح وإعادة بثّ الأمل في نفوس الثوار، ليستطيعوا بمدةٍ وجيزة تحويل هذه الانتكاسة إلى نصرٍ كبير، فيتمكنوا في أقل من ثلاثة أشهر من تحريرِ سائرِ أرجاء الريف، وينتقلوا بعدها إلى معركة تحرير مدينة حلب..

شهدته كذلك في موقفٍ أصعب بعد الانسحاب من القصير.. كان اليأسُ قد استبدَّ في نفوس المقاتلين وأخذ بهم التعب مأخذه. خرج عبد القادر من القصير لا ليعودَ إلى حلب، بل كان يريدُ متابعة القتال من جبال القلمون، فاستشار من حوله وأخذَ يُقرّبُ لهم الأمور ويبعّدها، ويقول مخطئ من يترك هذه الجبال ويرحل!

من هنا يمكن أن نستمرّ ونحارب، ونشنّ الهجمات على قوات النظام وحزب الله, ونكبدهم الخسائر، ونستعيد القصير، ونزحف إلى حمص... حاول أن يشجّع من حوله، لكن حين رأى التعب الذي وصلوا إليه - مع أنّه كان أشدَّهم تعباً – وافق على العودة بهم إلى حلب، على أن يعود بهم في وقتٍ قريب. لكنّ الأوضاع في حلب منعته من العودة.

شهده الجميع في أيامه الأخيرة بعد سقوط اللواء ثمانين والمواصلات بيد النظام وحلفائه.. كيف توجّه إلى جبهة القتال يُنبّهُ المقاتلين إلى أنّ القوةَ ليست بالسلاح وحده. فبمقياسِ القوة المادية نحن ضعفاء، لأنّ العالم كلّه يقف ضدنا ونحنُ هنا لا نحارب عن سورية وشعبها فقط، بل نحاربُ عن الأمةِ كلّها.

رحل عبدالقادر الصالح، لكنّ الثورة التي وهبها روحه باقية، باقيةٌ بالروح التي امتلكها عبد القادر الصالح وبالمبادئ التي غرسها والتي ستؤتي أُكُلها، ولو بعد حين.. حقّاً لقد كان عبد القادر الصالح ثورة!

بُذورُ الطائفيَّةِ في سوريّة

زكريا الحُسيني

كيف بدأ ترسيخُ الطائفيَّة في سورية ومَن وراءهُ؟

لم يكن الشعبُ السوريُّ يوماً طائفياً، ولم يتعامل على هذا الأساس على الإطلاق، وأكبرُ دليلٍ على ذلك أنَّ السيد فارس الخوري ـ مسيحيّ الدّيَانة ـ كان رئيساً للوزراء مرَّتَين قبل استلام حزب البعث السلطة. إلا أنَّ البعض قد لجأ إلى الطائفية من أجل بَسطِ النفوذ والسيطرة، وبناءِ أمجادٍ لأسرته أو طائفته على حساب الآخرين.

كما سعى الاحتلالُ في سورية إلى تَكريسِ هذا الأمر، ثم وجده البعضُ فرصةً للتسلق والاستحواذ. وهذا ما نجني نتائجَه اليوم...

خلالَ فترة الانتداب أسَّست فرنسا «جيشَ الشرق» عام ١٩٢١، حيث بلغ تِعدادُه ٧٠ ألفاً، يتألف جُلّه من المَغاربة والفرنسيّين والأفارقة. ثم خُفض، وشكّلت «القواتِ الخاصَّة للشرق» كفِرَق أمنٍ داخلية مهمَّتُها حفظُ النظام وقمعُ الثورات داخل المدن, وكان تعدادها ٦٥٠٠ مجنّدٍ عند التأسيس ١٩٢٤، ووصل العددُ إلى ١٤٠٠٠ مجندٍ عام ١٩٣٥، تألفت غالبيّتُها من الأقليّات الدينية, خصوصاً العَلويَّة؛ كما كانت هناك قواتٌ إضافيةٌ من الدَّرَك والشرطة.. أصبحت «القوات الخاصَّة للشرق» نواةً للجيش السوريّ واللبنانيّ فيما بعد. في حين رفضت الغالبيَّة العظمى من المجتمع السوريّ دخول هذا الجيش، وانخرطت أعدادٌ كبيرةٌ من الشباب في المُقاومة المناهِضة للاحتلال الفرنسيّ.

كانت فرنسا وقوَّاتُ الحُلفاء ـ بذاك الوقت ـ تنظر إلى مصالحها نظرةً استراتيجيةً طويلةَ المدى، فحتى لو اضطرّت فرنسا للانسحاب من سورية أو غيرها، فستُبقي على ما حقّقتهُ ورسمتْهُ من تقسيمٍ، مُبقيةً أهلَ الولاء من بعض الأقليات التي مَنحَت ولاءَها للاحتلال متحكِّمين ضامنين لها، لاسيَّما أنها تختلف أيضاً بعقيدتها وأفكارها عن أهداف المجتمع عموماً، وطموحاته في التحرُّر والاستقلال...

لقد سعت فرنسا لبَسطِ نفوذ بعض الأقليَّات، لا سيَّما العلويّة بشكلٍ أساسيّ، واستعمالها أداةً لمُناهَضة حركات التحرّر والنهضة العربيَّة والإسلامية في المَنطقة. وقد سعت

أيضاً في لبنانَ لدعم بعضهم كي يُصبحوا أصحابَ نُفوذ، ويكونوا بذلك قد أحكموا القبضة على الشعوب في منطقة بلاد الشام، كي تتعثرَ كلُّ خطوات النهوض، ويصبحَ لفرنسا حلفاءُ لها في المنطقة، يكونوا حَجَرَ عثرةٍ ضدَّ أيَّة حركة نهوضٍ في المنطقة.

وهكذا يستمرُّ الاحتلالُ الأجنبيّ، لكن بشكلٍ آخَر، وهو احتلالٌ غير مباشرٍ من خلال دولٍ مستقلةٍ شكلياً وإدارياً وسياسياً، ولا تملك هذه الدول استقلالية القرار، فقد تمَّت إزاحةُ الدولة العثمانية ـ الرجل المريض ـ في المنطقة، مستغلّين متعصّبِي القوميّة العربيّة والمتطلعين للوصل إلى الحكم، الذين خدعوهم للقيام بهذا الأمر، وقد وعدُوهم بقيام دولةٍ عربيةٍ مستقلةٍ بحُكم الأشراف، ولكنّ أطماعَهم وأهدافهم الخفيَّة كانت خِلاف ما أعلنوه.

ثم بدأت تتغيَّرُ سياسةُ فرنسا في مطلع الثلاثينيَّات لأسبابٍ عدَّة، منها: المُقاومةُ الشعبيّة السّوريّة، والتغيُّر في القيادة الفرنسية، والحكومة الاشتراكيّة.. وكما ذكرنا تمَّ تشكيلُ وفدٍ سوريٍّ وَوُضعت معاهدةٌ لإنهاء الانتداب وإلغاء التَّجزئة. وهنا ازدادت المراسلاتُ مع الحكومة الفرنسية يرفضون إلغاءَ استقلالهم كعَلويّين؛ في حين شكّلت فرنسا حكومةً عام ١٩٣٦. ثم اعترفت بمَنحِ سورية استقلالاً مشروطاً.

ولما قامت الحربُ العالمية الثانية أعادت فرنسا الحكمَ العسكريَّ في سورية، وأدَّى استمرارُ المقاومة الوطنية والتنافس البريطانيّ الفرنسيّ إلى إجبار فرنسا على مَنح سورية الاستقلال سنة ١٩٤١.

في سنة ١٩٤٣ انتُخِب شكري القوّتلي رئيساً للجمهوريّة السوريّة المستقلة، وبقيت فرنسا مُصِرَّة على الاحتفاظ بـ «قوّات الشرق الخاصَّة». وفي عام ١٩٤٥ قدَّم الجنرال بينيه مذكَّرةً بأنَّ فرنسا مستعدّةٌ لتسليم الجيش مُقابل وضعِ قواعدَ عسكريةٍ لها في المنطقة، وتمَّ رفض المذكَّرة، وأصدر مجلسُ النوَّاب السوريّ «قانون حماية الاستقلال» الذي أقرَّ عقوباتٍ ضدَّ مَن يخدم دولةً أجنبية، فقامت فرنسا بتصعيد العمل العسكريّ، ليقومَ الشعبُ بإضرابٍ عامّ، ويخرجَ بمظاهراتٍ في عددٍ من المناطق، ما جعل القوَّاتِ الفرنسية تقصِفُ بالطائرات والمدافع، ومن ثمَّ انسحبت إلى مناطق العَلويّين، وبدأت تسلّم الثكنات والجيش.. بعد ذلك انسحبت قوَّاتُها من سورية سنة ١٩٤٦، فكان تجميعُها في المنطقة الساحلية، والانسحابُ نهائياً في ١٧ نيسان.

زال الاحتلال الفرنسيّ، ولكن كانت هناك حالةٌ غير طبيعيّة من ضعف القُدُرات والخبرات والإمكانات، وضعف الولاء للسلطة المركزية، وحالة تسودُ المؤسسات من نفوذٍ للأقليات فيها، لاسيَّما العسكرية. وقد لعب الجيشُ السوريُّ الذي أعدَّته فرنسا بعد الاستقلال الدورَ البارز في الحياة السياسيّة والانقلابات. وفي الفترة الأخيرة توزّع الجيش السوريّ على الشكل التالي ٣٠ ٪ من العلويّين المنخرطين فيه هم علويُّون، و٧٠ ٪ من ضبَّاط هذا الجيش هم علويُّون أيضاً يتحكّمون بكلِّ مَفاصله المُهمَّة.

وقد ظهرت حالاتٌ من التمرُّد في مناطق الأقليّات ـ في الساحل وجبل

الدُّروز ـ لاسيَّما بعد الاستقلال الجزئيّ عام ١٩٤٣، وتعيين شكري القوّتلي، حيث بقي الجيشُ بِيَدِ فرنسا والدّولةُ بمؤسَّساتها المدنيَّة مستقلة، فكان تمرُّدُ سليمان مرشد في جبال العلويّين.

ثمَّ تصاعد نفوذ الطائفة وتَغلغُلُها في السِّلك العسكريّ والأمنيّ السوريّ... ذكرنا بأنَّ الاحتلالَ الفرنسيَّ اعتمد على جيشٍ مختلَطٍ من عناصرَ فرنسيّين وآخرين سوريّين من الأقليّات، من أجل بَسطِ سيطرته على البلاد.. طبعاً بعد أنْ تمَّ تسريحُ الجيش العربيّ السوريّ الذي كان تحت سلطة الملك فيصل، في بداية الاحتلال من خلال إنذار الجنرال غورو للأمير فيصل، حيث سُرّح الجيش من قِبل الأمير، إلا بعضه قاوَمَ الاحتلالَ في «موقعة ميسلون» بقيادة يوسف العَظمة.

بعد عامٍ واحدٍ من الاستقلال تأسَّس «حزب البعث العربي الاشتراكي» في ١٧ نيسان ١٩٤٧، والذي كان له ـ فيما بعد ـ الدَّور الأبرز في مسرح الأحداث.

كان للحزب الدَّورُ الأهمُّ في سيطرة العلويّين على المسرح العسكريّ والسياسيّ السّوريّ، إلى أن تمَّت السَّيطرةُ الكاملة لهم على السُّلطة

فارس الخوري وطني بامتياز تسلم عدة مناصب قيادية في بدايات الدولة السورية

في سورية. فكان المؤسِّسون الأساسيُّون للحزب ميشيل عفلق وزكي الأرسوزي، وأكرم الحوراني والبيطار... وقد قام الحزبُ أصلاً على الأقليّات، لاسيَّما العلويَة وبعض المسلمين السُّنّة الذين حملوا الفكرَ الاشتراكيّ.

سيطر الجيش غالباً على الأحداث وعلى الحياة السياسيّة، وتوالت عِدَّة انقلاباتٍ بعد الاستقلال: انقلاب حُسني الزّعيم، انقلاب سامي الحنّاوي، انقلاب أديب الشيشكلي.. أيَّد حزبُ البعث حسني الزعيم الذي قادَ انقلاب ١٩٤٩.

بعد انطلاقته عام ١٩٤٧، استغلَّ الحزبُ نقمةَ بعض سكَّان القرى والبوادي على الحِرمان الذي كانوا يعانونَهُ من السَّاسَةِ المتنفِّذين، من أبناء المدُن المثقَّفين والإقطاعيّين من أهل السنة.. وفي أوائل الستينيّات انهَالت طلباتُ الانتساب من أبناء الطائفة العلويّة عليه، ثمّ أتبعوا ذلك بالخُطة المُدبّرة لغزو الجيش بالتطوع الجماعي، وكان اجتماع القرداحة عام ١٩٦٠، ثمَّ تسلمَ الحزبُ السلطةَ في البلاد بانقلاب ١٩٦٣/٣/٨، الذي قامت به اللجنة العسكريَّة بضبَّاطها من العلويّين وبعض الأقليات.

اللّجنةُ العسكريَّة السِّرّيَّة:

تشكَّلت من ضبَّاطٍ بَعثيّين كانوا خلال فترة الوحدة قد نُقلوا للعمل في مواقعَ عسكريّةٍ مِصريَّة، فكان على رأسهم: محمد عمران، صلاح جديد، حافظ أسد ـ من العلويّين ـ وأحمد المير وعبد الكريم الجندي ـ من الإسماعيليّين ـ وسليم حاطوم من الدُّروز. ثم توسعت اللجنة، لتمثل التنظيمَ العسكريَّ في حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ، حيث عملوا من أجل القضاء على الوحدة والتخلُّص

من القيادة التقليديّة لحزب البعث واستبدالها بقياداتٍ صوريّة، كما عملوا على إبعاد عددٍ من المُسلمين السُّنّة من المواقع الحسَّاسة وإدخال العسكريّين العلويّين، لكي يُحكِموا القبضة على المَفاصل العسكرية الهامَّة. كذلك كان لشيوخ الطائفة دورٌ ودعمٌ للتنظيم العسكريّ البعثيّ!

اجتماعُ القرداحة:

في عام ١٩٦٠ تداعى مشايخُ الطائفَة لعَقدِ اجتماعٍ في قرية القرداحة حضره كبارُ الضبَّاط، وعلى رأسهم محمد عمران ومحمد نبهان وصلاح جديد وحافظ أسد، وكان الهدفُ هو التداولُ والاتفاقُ على وضع خطةٍ لزيادة أبناء العلويّين المنتَسِبين للجيش، ودعمُ الطائفة للضبَّاط المجتمِعين، وتعميقُ أواصر العلاقة فيما بينهم، ومنحُهم رُتَباً دينيةً تعطيهم هالةً من القداسة والاحترام والطاعة عند أبناء طائفتهم عموماً.

اجتماعُ حِمص:

عُقِد في ١٨ تموز ١٩٦٣، وضمَّ عدداً من المشايخ والضبَّاط والشخصيَّات السياسيَّة العلويَّة، مثل: عِزّت جديد، محمد عمران، حافظ أسد، إبراهيم ماخوس...

اتُّخِذت القراراتُ التاليةُ في الاجتماع:

١- منحُ محمَّد عمران رتبةً دينيَّةً كبيرة, وهي الوشاحُ البابيّ الأقدَس.

٢- ترفيعُ محمّد نبهان إلى رُتبة نجيبٍ تقديراً لدَوره.

٣- إعادةُ النظر بالتخطيط لزيادة نفوذ العلوية في المؤسسات العسكريَّة والسياسيَّة وحزب البعث...

٤- تكليفُ صلاح جديد بقيادةِ وتوجيهِ العناصر العلويَّة في الجيش, ومنحِهِ رُتبةَ مُقدَّم.

٥- منحُ حافظ أسد رُتبةَ نجيب، وهي تلي رُتبةَ جديد.

٦- منحُ عِزّت جديد وعلي حمّاد رتبةَ المختصّ.

٧- تسليمُ القيادة المدنيّة السياسيّة إلى إبراهيم ماخوس، وإعداده ليكون رئيسَ وزراء الدَّولة العلويَّة المنشودة.

٨- تشجيعُ العلويّين على الانتقال إلى المُدن، لاسيَّما اللاذقية وحمص ودمشق.

وقد تضافرت جهودُهم معاً على التَّغلغُل في المؤسَّسات العسكريَّة والمدنيَّة لبَسطِ النُّفوذ والسيطرة مُتستِّرين بحزب البعث الذي تحوَّل إلى تكريس ودعم العلويَّة، وقد ذكرَ هذا بشكلٍ تفصيليّ - بكلّ أحداثه - أحدُ رجالاتِ البعث الأوائل, وهو د. سامي الجندي في كتابه «البعث».

ومن جُملة ما قاله بأنَّ العلويينَ أصبحوا حزباً وراءَ الحزب!

فسامي الجنديّ رأى طائفيةَ حزب البعث باكراً بعد استيلاء العسكريّين العلويّين على قرارِ الحزب ومَساره. وتحدَّث عنها بوضوح وشفافيَّة في كتابه المذكور، الذي صدر عام ١٩٦٩ في بيروت. يقول عن صلاح جديد: «يتساءَل الناس: هل هو طائفيٌّ أم لا؟ قد يكون وقد لا يكون؟ ولكنه مسؤولٌ عنها، اعتمدَ عليها ونظّمها وجعلها حِزباً وراء الحزب!».

وقد ذكرَ أكرمُ الحورانيّ في مذكَّراته، بمَنفَاه، أحدُ مؤسسين حزب البعث، عمَّا حصل في حزب البعث وتكريس الطائفية.

استغلَّ العلويُّون أكرم الحوراني (السُّنّي), ثمَّ عندما تمكَّنوا من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ اعتقلوه، ثم نَفَوهُ.

فهناك عددٌ من السُّوريّين الوطنيّين ممن انتسبوا إلى الحزب مشدودِين بشعاراته، لاسيَّما التركيز على آمال الطبقة الكادحة والفلاحين، وآمال الأمَّة العربيَّة في وحدتها، ثمَّ كان مصيرُهم، إمَّا الاعتقالُ أو القتلُ أو دفنُ رؤوسِهم في الرّمال، متجاهلين ما حصل وما يحصل، خائفين من مصيرٍ يشبه مصير رفاقهم، أو طامعين بمكانةٍ وقربٍ من العلويّين الذين أصبحوا المتنفِّذين في الحزب والدولة...

وواضحٌ - كما ذكرنا سابقاً - أنَّ الدولَ الأجنبيَّة كانت ما بين الصَّامتة أو المؤيِّدة بالخَفاء لرجالات الطائفة، لتمكُّنِهم من الحكم فيحقّقوا أهدافاً كثيرةً من عيش إسرائيل بأمان، وضرب كلّ حركات التحرُّرِ العربيَّة أو الإسلاميَّة في منطقة بلاد الشام.

IRAN
ON
OFF

حِوارٌ عن الثورة مع النقيب المنشقّ أحمد غزالي

أجرى الحوار: ياسر الحجّي

يُعتبر النقيب أحمد غزالي (أبو رشد) من أوائل الضبَّاط المنشقّين عن الجيش الأسديّ. وقد كان له حضورٌ مؤثّرٌ في معظَم معارك تحرير الريف الشماليّ من حلب؛ حيث تمتَّع بسُمعةٍ طيّبةٍ وعلاقةٍ جيّدةٍ مع جميع الثوار هناك... تعرّض خلال معركة تحرير «مطار منغ» لإصابةٍ بالغة أبقتهُ طويلاً في العناية المشدَّدة. ومنذ فترةٍ عاد بهمَّةٍ عالية إلى العمل والنشاط الثوريّ.. تقديراً لجهوده وتضحياته قامت مجلة «المرآة» باستضافته وإجراء الحِوار التالي معه...

ـ أبو راشد نرحِّبُ بك بمجلة «المرآة» ونحن سُعداء باستضافتكَ على صفحات مجلتنا.. نرجو منك أن تحدثنا عن بداياتك مع الثورة

ـ في بداية الثورة كنتُ في إجازةٍ في البلد بدرعا، ولما عدتُ إلى الدوام أخذوني إلى فرع المخابرات الجوّيّة في حلب، لأنني بعدما تخرجتُ من الكليّة الحربيّة فُرزت إلى مطار كويرس.. قلت في نفسي مراجعة ليومٍ أو يومين ثم أرجع, تفاجأتُ حينما أنزلونا تحتَ الأرض.. الاتّهامُ الأوّلُ الذي وُجِّهَ إليَّ هو الخيانة والتآمر على الدولة وأشياءُ أخرى من هذا الكلام الفارغ.. قضيتُ عندهم شهراً وخمسة أيامٍ تعذيبٌ وضربٌ وإهانة.. خرجتُ مريضَ الجسد والنفس بكلّ معنى الكلمة!

كنتُ رئيساً لقسم الكيمياء في مطار كويرس الذي يُعتبَر «الكليّة الجويّة»، فصار الشباب الآخرون يأتون إليَّ ويسألونَني: «بما أنك رئيسُ القسم ما العمل؟»، قلت: «يلّي بدّو ينشق يروح ما في مشكلة».. انشق الجميع لديّ، ولم يبقَ معي سوى عنصرَين فقط.. هنا استدعوني من جديدٍ لفرع المخابرات الجويّة!

ذهبتُ للفرع، فأعادوني إلى السّجن لمدّة شهرٍ آخَر. وكان مثل الشهر الأول: إهاناتٌ، ضربٌ، تعذيبٌ... وهكذا قضيتُ عام ٢٠١١ كلّه بالسجن تقريباً!

ـ كم مَرَّةً اعتُقِلتَ؟

ـ أربع مرَّات.. المرَّة الخامسة طلبوني للفرع، فذهبتُ إلى تل رفعت..

ـ هل تواصلتَ مع الثوَّار؟

بعد أن رحلت زوجتي وابني إلى درعا، جاءني اتصالٌ من جاري في البيت بمنطقة الجابرية يخبرني أنَّ عناصرَ المخابرات كسروا البابَ وفتشوا البيت!..

تواصلتُ مع مجموعةٍ من عندان، وبعدها ذهبتُ إلى صديقٍ لي من

حمص يعمل دلّالَ عقاراتٍ في حلب. فاقترح عليَّ التواصلَ مع تنسيقية هنانو، فأخذوني إلى تل رفعت، لأنها أبعدُ عن النظام وأكثر أماناً...

وقد أوصلني إلى هناك أبو عبدالله التركماني، المعروف لكلّ ثوار حلب, والذي استُشهد فيما بعد.. تجمعنا في تل رفعت في اليوم التالي، لأتعرف على قادة الثورة هناك: المرحومين حجّي مارع وأبو إبراهيم، وأبو توفيق وبقية الشباب...

ـ كيف تعرَّفتَ على أبو إبراهيم (عمار داديخي)؟ وكيف كانت بداياتُ العمل العسكريّ؟

قُمنا بتأسيس أوَّل لواءٍ في حلب باسم «أحرار الشمال»، وتجمُّعُهُ كان في مدينة تل رفعت.. أثناء التشكيل ركض الأغلبية إلى الصفّ الأوّل من أجل التصوير، لكن بقي شخصٌ واحدٌ جالسٌ تحت شجرة الزيتون لم يتحرَّك، وهو يجول بنظره على الناس ويحكُّ بأصابعه كعادته.. ذهبتُ إليه، وبعد السلام سألتُه: «أنت أبو إبراهيم؟». قال: «نعم!».. قلت: «شلون بدنا نفوت إعزاز؟». قال: «إعزاز بدها شغل كتير.. فيها أمن عسكري». فأصررتُ عليه بأن ننتهي من الأمن العسكري ونحرّر إعزاز... قال» «بجوز أنت ضابط منشق جديد جاي حميان؛ الأمن العسكري قوي جداً، ولإعزاز خاصّيّة سياسيّة مو عسكرية، وليس بالسهولة أن نأخذ الأمن العسكري». قلت: «كمان ما بصير تضلوا قاعدين

لقاء

الشهيد البطل عمار داديخي قائد لواء عاصفة الشمال مع مقاتليه

بتل رفعت وبلدكن ما هو محرر!».
فاقترح بأن نخرج بغارةٍ على إعزاز بين فترة وأخرى، أو أن نقوم بغزوة ـ كما يقولون ـ ونعود.. اتفقنا على هذا الأمر، لكن بعد أن طلب مني تأمينَ قناصة ورشاش بي. كي. سي. وقاذف آر. بي. جي.
بدأت بالخروج أنا وأبو إبراهيم عند الفجر، بعد صلاة الصبح إلى إعزاز، نضربُ بالقناصة والرشاش والقاذف ونعود إلى تل رفعت.. طبعاً الأمن العسكري اعتبر الأمر سابقةً خطيرة، إذ لم يتوقع أن يُضربَ بالمرة.. أصبحنا يومياً نخرجُ ونضرب الأمن، ونُقيمُ حاجزاً على طريق الأوتوستراد حلب ـ تركيا، حلب ـ عفرين. ما جعل الأمن العسكري يتضايق كثيرا، إذ لم يَعُدْ يصله أيُّ شيء من حلب ومطار منغ وعفرين. لقد قطعنا طريق تركيا تماماً في ٢٠١٢!
قطعنا الطريق عند الدوار الكبير في إعزاز.. وبدأنا نقول للسيارات التركية بأن يرجعوا إلى بلدهم حتى نضيّق أكثر على المعبر.. هذه كانت أحد خطط أبو إبراهيم الهادفة إلى إغلاق المعبر أو السيطرة عليه.. بعد ذلك جمَّعنا أبو محمود (عبد القادر الصالح) رحمه الله في تل رفعت، وقال: «هيك شغلتكم مطولة بدنا ناخد الأمن العسكري».. قلنا: «ما في مشكلة بس شو الخطة؟». قال: «ما بدها خطة، كل واحد بقول يا رب، وكل واحد بقدم يلي عنده، ونتوكل على الله». قلنا: مثل ما بدك! مين قائد العملية؟». قال: «أبو إبراهيم هو راح يكون قائد العملية.. كل واحد منا بياخد واحد من الضابط، يعني قائد محلي من المنطقة مع قائد عسكري».. اقترب مني أبو إبراهيم وأخذني من يدي.. حجي مارع دخل من نقطة المقبرة، ونحن من نقطة المعصرة مقابل باب الأمن العسكري، وأبو توفيق من طرف جامع حج فاضل لأنه كان فارغاً.. تفاجئنا عندما خرجنا من تل رفعت برتلٍ كبير أنَّ الأمن قد عرف بالأمر.. ونحن نسيرُ أصبح مطار منغ يضربنا بالرصاص والقذائف قبل وصولنا إعزاز.

ـ أيَّةُ ساعة بدأ المسير؟

ـ الساعة الرابعة عصراً.. لقد «شبعنا قتل حتى وصلنا!».

ـ هل استُشهِدَ أحدٌ معكم؟

ـ لم يستشهد أحدٌ على الطريق. كان التنسيق خاطئاً، فعندما وصلنا إعزاز كان الأمن العسكري بانتظارنا.. بدل أن نبدأ المعركة نحن، بدأ عناصرُه المعركة! بدأنا العمليَّة.. لم تكن هناك ذخيرة أبداً، حتى حجي مارع من المحتمل أنه لم يكن لديه سوى مخزن ونصف؛ وكان عند أبي إبراهيم حشوتان آر. بي. جي. فقط.. لم تكن هناك أسلحةٌ مناسبةٌ أو ذخيرةٌ كافية.
منذ ذلك الوقت أصبحنا المبادرين بضربهم, وصار عندنا شهيد, وخسرنا المعركة.. كلُّ هذا كان جديداً.. ضربنا الأمن العسكري وهذا يكفي!

ـ كيف استمرَّ العملُ بعدَ ذلك؟

ـ قرَّرُوا إنشاءَ كتائبَ في كلّ مدينةٍ تابعةٍ لِلِواء «أحرار الشمال»، لانطلاق معاركَ كثيرةٍ واقتحاماتٍ ومشاكلَ في بعض المناطق.. قالوا من الواجب تشكيلُ كتيبةٍ في كلّ مدينةٍ من مدن الثورة تابعة لِلِواء «أحرار الشمال». طبعاً حتى اليوم أحاول تذكُّرَ من كان قائداً للواء فلا أتذكَّر.. لم يكن في تلك الأيام قائدٌ محددٌ لِلّواء، كان مجرد تجمُّع والشبابُ عملوا داخله.. الأمر جيّدٌ نوعاً ما.. اليوم لا أعرف كيف يضعون القائد، وبعدها يفصّلون الكتيبة على هواه؟!.. الآن اسألْ أيَّ شخصٍ من كان قائداً لِلِواء «أحرار الشمال»، لا أحدَ يستطيع الإجابة. لكن عندما قرَّرُوا قراءة بيان التشكيل، قالوا يجب أن يكون أحدُ العسكريّين حتى يأخذ صبغة «الجيش الحرّ».. وقفنا أنا وأبو الجولان وأبو النصر وأبو رياض، الذي قرأ البيان، لأنه كان الأقدمَ برتبة مقدَّم... كانت هذه من روائع بداية الثورة!

وهكذا تمَّت تسميةُ ثوار إعزاز بكتيبة «عاصفة الشمال»، وتل رفعت ـ «قلب الشمال»، وعندان ـ «عين الشمال»، ومارع ـ «قبضة الشمال».. طبعاً في تلك الأيام لم يكن هناك تحرُّكٌ في حيّان وحريتان، بل كانوا ينضمُّون لعندان أو مارع أو تل رفعت. لم يكن لديهم مركز!

بعد ذلك أعدَدْنا العُدَّة وقرَّرنا تحريرَ الأمن العسكري... هذه المرة كان العمل سريّاً أكثر من سابقه .. في هذه المعركة قُمنا بضربه خلال ثلاثة أيام ونصف.. شارك الجميع في هذه المعركة، وبعد ثلاثة أيامٍ ونصف تعِبُوا وطلبوا هُدنةً

ـ كيف طلبوا الهُدنة؟

ـ جاء أبو جمعة وقال للحجاج: «الجماعة بدن يطلعوا، ونحن دم الشهيد عنا أغلى من كلّ العمل، بلا ما يروح إلنا شهداء، إذا بدن يطلعوا وما يروح شهداء بكون أفضل».. اتفقوا على هذا.. اجتمعنا في إعزاز جانب الأمن العسكريّ لمناقشة الأمر، وسألونا: «هم طلبوا هدنة ما رأيكم يا شباب؟»..

جاء أبو جمعة ليلاً، وقال: «نسّقنا مع العميد أديب سلامة وراح يبعثوا باصات يسحبوا عناصرهم وخلص. هيك اتفقنا».. كان هناك شابٌّ منشقّ من الأمن السياسيّ أبو محمود الحموي (عقبة خلوف) معروفٌ لكلّ شباب الريف الشماليّ، وهو أولُ شهيدٍ في معبر باب السلامة.. كان صديقي بالمعركتَين السابقتَين، قلت: «أنا ماني موافق على الهدنة». كذلك قال هو: «أنا مع أبو راشد ماني موافق».. «بدكم ما بدكم، في أمير ما في أمير».. نحن لم نعرف ما هذا أمير.. كنا نتقاتل عليها كثيراً، خاصَّة مع الحجي أبو محمود.. قلت له: «ما تقلي أمير، قلي قائدك فلان ممكن تظبط معي. كلمة أمير لها أبعاد كثيرة».. قال: نحن أميرنا أبو جمعة!».. اختلفنا مع بعضنا بهذا الشأن. بعدها ركبتُ أنا وأبو محمود الحموي وذهبنا إلى مقرّنا في تل رفعت.. قلت: «ما بدنا نكفي المعركة». قال: «وأنا ما بدي أكفي». ونحن جالسون في

البيت، تواصل معي باقي الضباط.. في الصباح جاء أبو النصر وأبو الجولان وقالا: «لسنا موافقين على الهدنة نحن نعرف النظام أكثر منهم».. قال أبو النصر: «ماني موافق على الهدنة، وإذا طلع الضوء وشفت عسكري راح أضربه، خلي يساووا هدنة لحالهم. حبيت أخبرك لأنك قائدنا». كنت أكبر واحد فيهم. فقلت له: «توكل على الله». بعد ما طلع الضوء شاهد عسكرياً فضربه وقتله!

بعدما قُتل العسكريّ عادت المعركة من جديد.. قلنا: «ما بقي في هدنة». وكان أبو ابراهيم من طرفنا، حيث صرح برفضه للهدنة, قائلاً: «اشتغلوا يلي بدكن ياه».

بعد ساعة بدلَ أن تأتي الباصات جاءت خمس دبابات وعربتين بي. إم. بي.، حتى في أقل من ساعة.. لو أرادوا إرسالهم من حلب ما استطاعوا حملَهم وتذخيرَهم.. وصلوا وبدؤوا يضربوننا من الخارج ونحن في الداخل.. أحاطوا بنا.. ضربونا من ظهرنا، ووقع لدينا شهداءُ كُثر.. قلنا لأبي جمعة: «وين الباصات يا أبو جمعة؟».. لكنه لم يرد!

كان هناك أربعُ حوّامات بالجو وضربونا من الجو، وسقط عندنا شهداء كثر.. كذلك قصفوا المدنيّين.. انعكست الأمور: كنّا نحنُ المنتصرين صاروا هم!

في المعركة الأخيرة بقينا بالعمل لوحدنا حتى العصر، وفي اليوم الثاني جاء الجميع من كلّ الكتائب والفصائل...وبدأنا نعمل على تحرير إعزاز...

اجتمعتُ أنا وحجي مارع.. قلت له: «حجي جاء دورك كفي معركتك».. أجاب : «يلي بلش المعركة بكفي».. قلت له: «متل بدك!».

في هذه الأثناء أصيب حجي مارع بعينه.. أخذوه وطبّبوه.. كان له شعبيّةٌ كبيرة، وقتَ أصيب تأثر الجميع بالحدث. لكن بعد أن تعالجَ رجع إلى المعركة...

ـ كم مِنَ الوقت غاب؟

ـ لم يطُل غيابُه عاد في اليوم الثاني..

بدأنا القتال في المعركة, وفتح الله علينا.. كانت معركةً طويلة وصعبة.. تحرَّرت إعزاز وبقي المعبر..

بعد عدة أيام جلسنا أنا وحجي مارع وأبو إبراهيم.. قال حجي مارع: «راح ندخل حلب».. رد عليه أبو إبراهيم: «لسه المعبر ما تحرر والدبابات موجودة هناك.. حتى تروح الدبابات منشوف».

قال الحجي: «راح نشكل لواء وأبو جمعة حدّد موعد بكرة، إذا جاهزين حتى تجوا لعنا»..

قال أبو إبراهيم: «حتى لو ما حضرنا اعتبرونا معكم، بس متل ما قلتلك إذا ما خلصنا صعب».. قال له: «لازم تكون معنا».. رد عليه أبو إبراهيم» اعتبرونا معكم!»..

ـ أعرفُ أنك أصِبتَ بمطار منغ.. تحدث لنا عن الموضوع.

ـ أرسلتُ كتيبة استطلاع متقدّمة كي تراقب الأمور عن كثب.. بعد خمسة أيام انكشف أمرُ الكتيبة.. تسلّل عليهم الجيش وقتلهم جميعاً وهم نيام!

قال أبو إبراهيم: «بدنا نروح نجيب الجثث».. وصلنا العلقميّة حتى نسحب جثث الشهداء.. مع وصولنا

التشهيد البطل عبد القادر الصالح (حجي مارع) في اعزاز

كان هناك بعض الشباب الذين دخلوا من أجل هذه المهمة، لكنهم حُوصِروا... وصاروا يطلبون حشوات آر. بي. جي، ما دفعني للذهاب بالسيارة وجلب الحشوات.. وضعتُ الحشوات على ظهري ودخلت إليهم ركضاً.. أخرجتُ حشوةً، وأطلقتُها على الدّبابة ت ٧٢ لكنها لم تنفجر!..

بتلك الأثناء اعتقدوا أنه قد جاءنا دعم, لذلك تراجعت الدبابة للوراء، ما سمح لنا بالانسحاب، لكنَّ الرشاش الموازي لسبطانة الدبابة صار يطلقُ الرصاص علينا..

كان معي ملازم أول طيار اسمه عدنان الصيادي أصيب معنا, لذلك أخرجناه معنا، لكن بقيت جثث الشهداء بالداخل.. قلّلنا عددنا حتى خمسة عناصر.. ضربتْنا الدبابة، وأنا أقف بجانب الحائط، فأصِبتُ بشظية، وبعدها لم أشعر بشيء...

بعد شهرٍ صحوتُ في مشفى غازي عنتاب.. اتصلتُ بأبي إبراهيم قالوا: «إنه أصيب، وهو يتعالج في مشفى أضنة».. أصبحنا نتكلم مع بعضنا .. بعد فترة شُفيت قليلاً.. كان أبو إبراهيم قد استُشهد لكنهم أخفوا الأمر عني بسبب إصابتي.. بعد خمسة أشهر عرفت أنه استُشهِد!

ـ بعد أربع سنوات من الثورة وكل المشاكل والشهداء والدم.. وصلنا إلى هنا.. لو قالوا لك أن الثورة ستبدأ الآن من جديد، وسيحدث معك هكذا، هل ستشارك؟..

ـ لا أستطيع ، سوف أتلافاها...

ـ أنت نادم على الثورة؟

ـ لا، لست نادماً.. لكنني منزعج على ما حدث...

ـ من أي شيء منزعج؟

ـ الوضع قبل الثورة، مع كل شيء كنا نعيشه، أفضل من الوضع إذا بقي هكذا!

ـ أتقصد أنَّ الوضعَ كان أفضل من الوضع الحالي؟

ـ نعم!

ـ إذا انتصرنا؟

ـ لقد وصلنا إلى مرحلةٍ لا تستطيع وضعَ رمز علم الثورة على صدرك في إدلب. في إدلب الآن ممنوعٌ رفعُ علم الثورة، سوف يضعوك في السجن.

ـ في كفرنبل تخرجُ مظاهراتٌ ترفع علم الثورة؟

ـ مظاهرات لكن الحسابات للأمام .. أيُّ فصيلٍ عسكريّ ممنوعٌ أن يرفع علم الثورة.. المشكلة بأننا نحن الذين بِعنا علم الثورة وليس «جبهة النصرة».. لم يعُد أحدٌ يرفعه!

ـ الجيشُ الحرُّ؟

ـ لم يبقَ جيش حُرّ!

ـ لازال موجوداً..

ـ قليل.. في حلب لا يوجد جيشٌ حُرٌّ!

ـ لو اخترت ستَّة أسماء من الثورة, ووضعت جانب كلِّ واحدٍ جملة.. من سيكونون؟

ـ عمار إبراهيم داديخي: قائد الثورة؛ عبدالقادر الصالح: الأب الروحي للثورة؛ منير حسني حسون: عَقل الثورة؛ أبو فرات (يوسف الجادر) وأبو يزن (أحمد طلاس): ضحايا الثورة؛ محمد سعيد: إعلاميُّ الثورة...

حماية المرأة في ظل القانون الدولي الإنساني

*رشا عنتابي

تُمثِّل النِّزاعاتُ المسلَّحةُ اليوم، سواءٌ كانت دوليّةً أو داخليّة، صورةَ الواقع الأكثرِ وحشيةً، وخصوصاً في وقتنا الحاضر، لِمَا لها من آثارٍ خطيرةٍ على النساء والأطفال والمجتمَعِ عامَّةً، عِلماً أنَّ أثرَ هذه النزاعات على النساء قد يكون أشدَّ خطراً، لذلك قرَّر القانون الدّوليُّ الإنسانيُّ حمايةَ المرأة بشكلٍ خاصٍّ، إضافةً إلى الحماية العامَّة التي يوفِّرُها لكلٍّ من الرَّجل والمرأة باعتبارِهما من المدنيّين.

يقضي القانون الدوليُّ الإنسانيُّ إجمالاً بمعاملة المُصَابِين والمرضى والأسرَى في النّزاعات معاملةً إنسانيَّة، دونَ أيِّ تمييزٍ على أساس الجنس أو العِرق أو الأصل أو الدِّين أو الرأي السياسيّ، أو بالاستناد إلى أيَّة معاييرَ مماثلةٍ..

هذه هي الحماية العامَّة التي توفِّرها اتفاقيّات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩, والبروتوكولان الإضافيَّان لعام ١٩٧٧، إضافةً إلى القانون الإنسانيِّ العُرفيّ.

ولكن ما هي الحمايةُ الخاصَّةُ المقرَّرةُ للمرأة في ظلِّ النِّزاعات المُسَلّحة، خصوصاً في ظلِّ ما تتعرَّض له هذه الفئةُ الضّعيفةُ من اعتداءٍ، سواءً بالاعتقال أو بالقتل أو عن طريق إشراكِهنَّ بالأعمال المَيدانيَّة، فيجنَّدون أو يُخطَفون في حروبٍ لا يَعلمْنَ عواقبها، فضلاً عن العامل الاقتصاديّ الذي قد يكون سبباً في استغلال تلك الفئةِ الهَشَّة، خاصَّة بعد فقدان مُعِيل الأسرة، إذ تُضطرُّ المرأة للعمل في أيِّ مجالٍ في سبيل الكَسْب، تاركةً نفسَها مَحطَّ استغلالِ تجَّارِ الحروب.

فما ترافق مع ثورات الرَّبيع العربيّ، وخصوصاً في ظلِّ الثورة السّوريّة، حيث تنوَّعت جرائم النظام من قتلٍ واعتقالٍ وتعذيبٍ للمرأة السّوريّة، هو أكبرُ دليلٍ على عمليّةِ انتهاكِ حقوقِ المرأة، ناهِيكَ عن العُنفِ الجنسيِّ الذي هو عمليّاً من أقسى أنواع العنف الذي تتعرَّض له المرأة،

لِمَا له من انعكاساتٍ سلبيّةٍ نفسيّةٍ واجتماعيّةٍ وصِحّيَّة، بل وأصبح هذا النوع من الاعتداء الأكثرَ شُيوعاً، خصوصاً لدى المعتقَلات من قِبَل قوّات النظام، لإذلالِهنَّ والضغط عليهنَّ كوسيلةٍ فعّالةٍ في التّحقيق. ورغم ذلك لا يمكن نُكرانُ أنَّ قواعدَ القانون الدوليّ الإنسانيّ المتعلّقة بحماية المرأة أثناءَ النزاعات المسلّحة تُعتَبرُ إلى حدٍّ ما مثاليةً ومتكامِلة، فلقد أوجب القانون الدوليُّ الإنسانيُّ مُمَثلاً باتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ معاملة المرأة بكلّ احترام، كما أوصى بحمايتها بشكلٍ خاصٍّ

خصَّص نصوصاً تتعلق بوضع المعتَقَلات، فأوجب تخصيصَ أماكن احتجازٍ منفَصِلةٍ لأسيراتِ ومعتقَلاتِ الحرب، بحيث يكون المُشرِفُ عليهِنَّ من النساء حصراً، وعدم جواز تفتيشِهنَّ إلا مِن قِبَل النساء.

وإذا كانت قضيَّةُ حمايةِ المرأة قد لاقت صدىً واسعاً في السّنَوَات الأخيرة إلا أنَّه يجب أن تتّجِه الأنظارُ بشكلٍ جدّيٍّ لحمايتها، ولاسيَّما مع تنامي ظاهرة العنف ضدَّها، لاسِيَّما المرأةُ السوريّة، دون أن نتجاهلَ بعضَ الجهود الدّوليّة في هذا الصَّدَدِ.

النساء اللّواتِي يواجِهْنَ الخطرَ في النزاعات المسلّحة، ومنحِهنَّ تصريحَ الوصول إلى العناية النفسيَّةِ والدَّعم النفسيّ، وتمَّ التركيز في هذا المؤتمَر على واقع النساء السُّوريَّات في ظلِّ الثورة السورية، ومدى معاناتِهم من هذا الصراع، وتوصَّلَ المؤتمَر إلى توصياتٍ تتعلّق بضرورة اتّخاذِ تدابيرَ فوريةٍ وعاجِلةٍ لحماية النساء السُّوريَّاتِ وتوفير الدّعم لهنَّ، من خِلال تأمين مشاركتهنَّ في المفاوَضات، واتّخاذ القرارات، وتطبيق سياسة العدالة الانتقاليّة، متضمِّنَةً إلغاءَ قوانين التمييز، وإعادة تأهيل الضَّحايا...

من الاغتصاب والإكراه على الدَّعارة، كما راعَى وضعَ النّساء الحوامل والمرضِعات من حيث تأمين رعايةٍ صحّيَّة متكاملة لهنّ، وتخصيصِ أماكنَ آمنةٍ، بالإضافة إلى عدم جوازِ إصدار أحكامِ إعدامٍ بحقِّ الحوامل والمرضِعات، كما

في كانون الأوَّل من عام ٢٠١٣ نظَّمتِ الشبكةُ الدوليةُ للحقوق والتنمِيَة مؤتمَراً بشأن العنف ضدَّ المرأة في ظلِّ النزاعات المُسَلّحة، إذ كان من أبرز توصيات هذا المؤتمر ضرورةُ التَّأكدِ من تطبيق القوانين الدولية المتعلّقةِ بحماية

لكنْ على الرَّغم من هذه المؤتمَرَات وغيرها، التي تُعتَبَرُ نتائجُها إلى حدٍّ ما مجرَّدَ توصياتٍ غيرِ مُلزمَة، إلا أنَّه لا يمكن تجاهلُ الكمِّ الهائلِ من الانتهاكات التي تتعرَّض لها المرأة، والسُّوريَّةُ منها على وجه الخصوص، من قتلٍ وتعذيبٍ

مجتمع

واعتقالٍ واعتداءٍ جنسيّ...

تُشيرُ تقاريرُ حقوقِ الإنسان حولَ انتهاكاتِ حقوق المرأة السُّوريّة الصَّادرة على النظام من ناحِية، وعن الفصائل المقاتِلة المختلِفة في سورية من ناحِية أُخرى، إلى تنوُّعِ الجرائم المرتكَبَة ضدَّ المرأة السُّوريّة :

أولاً: القتل ـ قتل ما لا يقِلُّ عن ١٥٣٤٧ امرأةً على يد قُوَّات النظام, بينَهم ٦٤١ طفلة. في حينِ قَتَلَ تنظيمُ «داعش» ما لا يقِلُّ عن ٨١ امرأة، بينهنَّ ٥ رجماً حتَّى الموت. كما قَتلتْ الفصائلُ المقاتِلة الأخرى ٢٥٥ امرأة .

ثانياً: الاعتِقالُ (الاحتجاز) ـ تعرَّضت ما لا يقِلُّ عن ٦٥٠٠ امرأة للاحتجاز لدى النظام. كما احتَجزت «داعش» قُرابة ٤٨٦ امرأة. أمَّا الفصائل الأخرى فقد احتَجزت ما لا يقِلُّ عن ٥٨٠ امرأة.

ثالثاً: العنفُ الجِنسيّ ـ ارتكبت القوَّاتُ التابِعة للنظام ما لا يقلُّ عن ٧٥٠٠ حادثةِ اعتداءٍ جنسيٍّ بمختلفِ أشكاله، وكان جزءٌ منه داخلَ مراكز الاعتقال، بالإضافة إلى انتهاكات تنظيم «داعش»

بما في ذلك الزَّواجُ القَسريُّ الذي مارسه التنظيم .

لا شكَّ أنَّ هذه الأرقامَ كبيرةٌ جدا، وهي في تزايُدٍ مستمِرٍّ، خصوصاً مع سكوت المجتمع الدّوليّ على جرائم النظام المتكرِّرة، منذ بداية الثورة السورية، والتي ترقى إلى جرائمَ ضِدَّ الإنسانية.

مع غياب دَورِ القضاء الجنائيّ الدّوليّ في هذا الصَّدد، فإذا كانت هذه جرائمُ لا يمكن السُّكوتُ عنها، فإنَّ صمتَ المجتمَعِ الدّوليّ وعدمَ اتخاذه خطواتٍ ملزمةً هو أبشعُ من هذه الجرائم .

أليس من الأجدَى تحريكُ الدَّعوَى أمامَ المحكمة الجنائيَّةِ الدّوليَّةِ، وإحالة ملفِّ الجرائم المرتكَبة من قِبل نظام الأسد في سورية إلى المدَّعي العامِّ للمحكمة الجنائيّة الدوليّة؟ أمَا آنَ لِمَجلس الأمن أن يكون له دوراً فاعلاً، وأن يبتعدَ عن التَّسيُّس؟

إنَّ المناداةَ بحماية المرأة أثناءَ النِّزعات المسلَّحة إنَما نجَمَت عن التفاوت الكبير بين النُّصوص القانونيّة والمُمَارسات الفِعليّة، لذلك نرى أخيراً أنَّ المطالبةَ بتطبيق قواعد القانون الدوليّ الإنسانيّ، وحمايةِ حقوق المرأة، ووضعِ حدٍّ للعنف، إنَّما هو ضرورةٌ إنسانيةٌ أكثر من كونه خياراً سياسيّاً، ومن واجب المجتمَع الدوليّ بذلُ أقصى الجهود لوضع حدٍّ لهذه الاعتداءات ضِدَّ المرأة.

*رشا عنتابي

* ماجستير في القانون الدوليّ، مستشارة في المركز الوطنيّ لحقوق الإنسان وتوثيق الانتهاكات.

الآثارُ النفسيةُ

التي تواجهُ أطفالَ سوريةَ جرّاءَ حربِ الأسدِ

بقلم
محبة للوطن

تعدُّ الحروبُ منْ أخطرِ الأشياءِ التي تؤثرُ على الشّعوبِ تأثيراً سلبيّاً، حيثُ يعاني أفرادُها على اختلاف فئاتهمُ العُمريّةِ من تَبِعاتها السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والنفسيةِ والدينيةِ، فما تُحدثِه من دمارٍ يؤثرُ تأثيراً بالغاً، وتظلّ آثارُه باقيةً لفتراتٍ طويلةٍ، تختلفُ من بلدٍ لآخرَ، ومن طبيعةِ حربٍ إلى أخرى...

تسبّبُ الحروبُ حالاتٍ كبيرةً من الوفيّاتِ؛ وتكونُ هذه الوفياتُ أكبرَ بكثيرٍ من تلكَ الناتجةِ عنِ الكوارثِ الطبيعيةِ على مَرّ التاريخ؛ فنجدُ على سبيل المثال أنّ النظامَ السوريَّ قد فتكَ بسكان مدينة حلبَ خلالَ شهرين فقط، بقدْرِ ما تعرّضتْ له مدينةُ حلبَ من زلازلَ على مَرّ السنينَ!

هذا ما يمكنُ رصدُه، وتقديمُ إحصاءاتٍ بتعداده، إلا أنّ هناكَ نوعاً آخرَ منَ الإعاقاتِ - إنْ جاز لنا التعبير - تلكَ التي لا تُؤخَذُ في الاعتبارِ، ولا تُجرى لها إحصائيّاتٌ إلا فيما ندر، رغم تأثيرها الكبيرِ على حياة الأفراد وقدرتِهم على إعادةِ التأقلم مع الحياة، تلك الإعاقاتُ هي ما تخلّفه الحروبُ من أثارٍ نفسية على الأفراد، والتي يُصنّفها الدليل التشخيصيّ الإحصائيّ للمشتغلين بالصّحة النفسيّة تحتَ فئة «آثارِ ما بعدَ الصّدمة».

الآثارُ النفسيّةُ التي تتركُها الصّدمة جرّاءَ استخدامِ النّظام الأسديّ العنفَ المفرطَ تِجاهَ الأطفالِ وذويهم وكيفيّةُ معالجتها

يتعرّض الشعبُ السوريُّ يوميّاً للموت والدّمار الشاملِ للممتلكاتِ المادّية الخاصّة والعامّة، ما يؤثرُ في أوجُهِ الحياةِ الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ويتركُ آثاراً ملموسةً على مَن يتعرّضون له، وما له من نتائجَ وتداعياتِ الواقع الذي يمرّ

مجتمع

به الشعبُ السوريّ من النواحي النفسيّة والانفعاليّة، وخاصّةً الأطفال منهم، حيث ترى هذه الفئةُ الدمارَ الماديَّ والإصاباتِ الجسديةَ والاعتقالاتِ لذويهم وتعذيبهم وقتلهم، ما يؤثرُ على أعماقِ أنفسهمُ البشريةِ الطريّةِ، من دمارٍ نفسيّ وانفعاليّ يلحقُ بالمتعايشين منهم لهذه الانتهاكات على مختلَف أشكالها حتى بعد مُضيّ وقتٍ عليها.

لكن ما تلبثُ أن تصمتَ الآلامُ، وتتبدّدَ أصواتُ النحيب على شخصٍ عزيزٍ تم فقدانُه، حتى تحاول الحياة أن تعودَ إلى طبيعتها وتلملم الأسرةُ المنكوبةُ جراحَها، إلا أنّ هناك الكثيرَ من المشاهدِ والأصوات التي ما زالت ماثلةً أمامَ الأطفالِ وعالقةً في أذهانهم، والتي لا يجدون تفسيراً لها، وكأن كابوساً مزلزلاً قد أتاهم بغتةً وظلّ صداه يتردّدُ ملازماً لهم في حياتهم اليومية، حيث تبقى حالةُ ما بعدَ الصدمة، من صورٍ وأصواتٍ وتخيّلاتٍ، ساكنةٍ في صمتٍ في أعماقِ الطفلِ، إلى أن تتمّ استثارتها بين الحين والآخر، فتنفلتُ من مكانها عبرَ الأحلام والانفعالات، وبعض السلوكيّات اليومية.

إنّ من أهمّ تأثيرات الصدمة الآنيّة على الأطفال هي الاضطراباتُ السلوكيّة التي تأخذ أشكالاً متعدّدة، كالقلقِ الشديدِ والخوف من المجهول وعدم الشعورِ بالأمانِ والتوتر المستمر والانعزالِ والتّبولِ في الفراش، فيشعرُ الطفل بأنه مهددٌ دوماً بالخطر، وأنّ أسرتَه عاجزةٌ عن حمايته، فعلى الرّغم من أنّ الوالدَين هما مصدرُ قوةِ الطفل وأمانه، إلا أنهما عاجزين على توفيرِ ذلك.

وكما هو عليه الحالُ في صدمةِ ما بعد الحرب، والتي ستترك آثارها النفسيةَ والاجتماعيةَ بعيدةَ المدى على الطفل، فهناك الصدماتُ الأخرى التي تُحدِث آثاراً عميقةً في الطفلِ وتسبّبُ له ـ في بعض الأحيان ـ ما يسمى باضطراب «ما بعدَ الصدمة». الصدماتُ المؤلمة هي: فقدانُ شخصٍ عزيزٍ على الطفل كاستشهاد أحدِ الوالدَين أو الأقارب، صدمةُ تدمير البيت أو المدرسة، صدمةُ التعرّض لنوعٍ من أنواع الإساءةِ الجسديةِ أو الجنسيّة، صدمة التعرّض لإعاقةٍ وفقدانِ أحدِ أعضاء الجسم أو حواسه...

يعبرُ الطفل عن مشاعر الصّدمةِ هذه بأوجهٍ مختلفةٍ، منها العدوانيّةُ تجاهَ الآخرين، والتعاملُ بخشونةٍ معَ الزملاء، وسرعةُ الاستثارة

الانفعاليّة، فنراه يصرخُ أحياناً بلا سببٍ، أو يغضب لأتفهِ الأسباب.
ومن العادات السلوكيةِ التي تعبّر عن قلقِ هؤلاء الأطفال نتيجةَ الصّدمة قضْمُ الأظافر والتّبوّلُ اللّاإراديُّ، والتي تُعتبرُ انعكاساً لحالةٍ من الأمانِ كان يعيشها الطفلُ في مرحلةٍ عمريّةٍ سابقةٍ، وهو يحنّ للرجوع إليها, كونَها تذكّره بمرحلةٍ ممتعةٍ بالنسبة له، أو هروباً من الواقع الموجود حالياً.
وفي ظلّ هذه الظروفِ التي عايَشها الطفل، لا بد من التدخل لحمايته من أجلِ الحدِّ من تفاقمِ هذه المظاهر النفسيةِ والانفعاليةِ التي طرأتْ لديه، والتي قد تترك بصماتِها على شخصيّته في المدى البعيد، ومن أهمّ استراتيجيّاتِ التّعامل معها هي الطّمأنَةُ ومحاولة إعادة حالة الشعور بالأمان، نظراً لأن الأمان هو من الحاجاتِ الفيسيولوجية الهامة لدى الإنسان، والتي صنّفها بعض علماءِ النفس بأنها تأتي بعدَ حاجاتِ الطعامِ والشرابِ والنوم، فإذا لم يتمَّ إشباعُ هذه الحاجة سينعكس الأمرُ بالضّرورة على مدى قدرة الطفل على إشباع الحاجاتِ النفسيةِ والاجتماعيةِ الأُخرى التي ترتكز عليها، كالحاجة إلى الحبّ والانتماء والتقدير.

وهناك حاجةٌ إلى التفريغِ النفسيّ والانفعاليّ للمشاعر المكبوتة التي اكتسبها الطفل وقتَ الحرب، حيث يعجز الكثير من الأطفال عن الحوار اللّفظي للتعبير عما يجول في خواطرهم ويشعرون به، لذلك يكون اللعب الحرُّ والرسمُ وتمثيلُ الأدوار، أدواتٍ هامةً لتفريغ هذه الانفعالات، إضافةً إلى محاولةِ إخراج الطفل من دائرة الحربِ التي طوّقتْ عنقَه طوال فترةٍ من الوقت، وتوفير الجوّ الملائم الذي يُشبع فيه ميولَه واهتماماتِه، وممارسة الأنشطة المثمرة والترفيهيّة..
كذلك الانخراطُ في الجوّ التعليميّ الذي يشدّ الطفلَ للاهتمام بالمذاكرة.
ويجب التشديدُ والرقابة على مشاهدة الطفل للتلفاز، بحيث يمتنع قدرَ الإمكان عن مشاهدة مواقفِ القصف والذبح والأمورِ المُحزنة التي تذكّره بالمواقف الصادمة، والتّركيز على مشاهدةِ البرامجِ الترفيهيةِ التي تجلبُ التسلية له، وتنقلُه من مرحلةِ الصّدمةِ إلى مرحلةِ التعايشِ الطبيعي مع الحياة اليوميةِ، وتقديم المبادرةِ إلى إجراءِ «محادثةٍ» عن طريقِ ألعابٍ أو رسوماتٍ، عندئذٍ يستطيعُ الطفلُ التعبيرَ عن نفسه، وقد يكونُ عناقُ واحدٍ أحياناً أكثرَ أثراً من حديثٍ مطوّل!
وفي ختامِ الواقع المؤلمِ الذي يواجهه أطفالُ سورية في الوقتِ الرّاهنِ, وفي الأوقات القادمة، يجبُ على المنظماتِ الدوليةِ التي تُعنى بحقوقِ الإنسان وحقوق الطفلِ النظرَ لواقعهم والسعيَ إلى التدخلِ الفوريّ والسريع لمساعدتهم وإخراجهم من الواقع المُزري والحزين الذي يعيشونه بشتّى الوسائلِ والأساليب التي تضمن حقوقَهم وحقوقَ ذويهم...

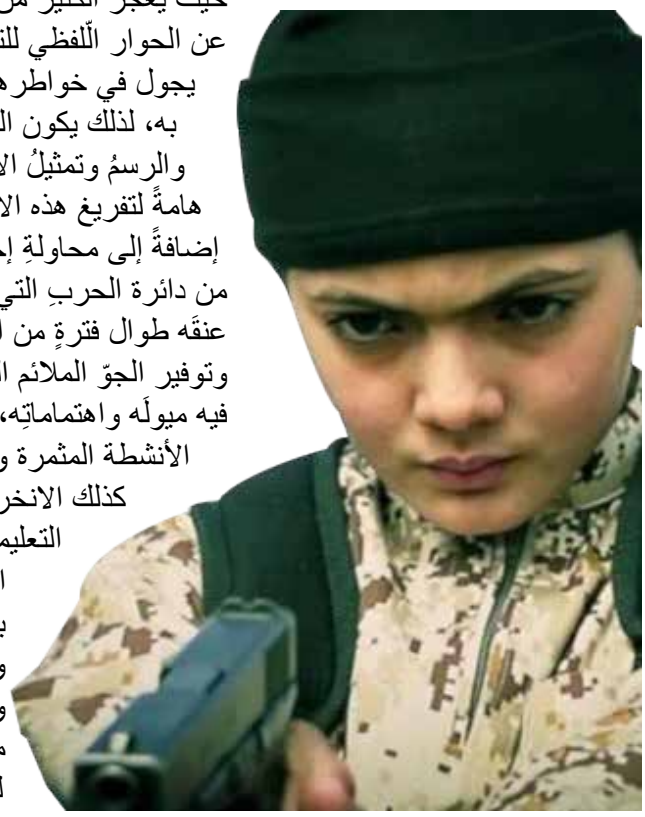

مجتمع

الفُرَصُ الضَّائعة

د. محمد إقبال الخضر *

في صباح يومٍ ربيعيٍّ مشمِسٍ من أيام شهر نيسان، خرجتُ مع صديقٍ لي إلى حقله الكائن بينَ حقول الحمضيَّات في الجبل المُطِلِّ على مدينتنا الساحلية الهادئة. كان الجبل مكسُوّاً بالأزهار المتفتحة على أشجار الحمضيّات، حتى لكأنك لا ترى إلا الأزهارَ على مدى نظرك! لم يكن قد مضى على تخرُّجِي من كليّة الاقتصاد سوى أشهرٍ معدوداتٍ أمضيتها في السّفر والتّسكّع في عدة أماكن، وكأني أريد استراحةً بعد عناءٍ شديد. ومع أني أحبُّ هذا العلمَ وأستمتع بدراسته، إلا أنَّ انتهاء المرحلة الجامعية، والحصولَ على الدرجة العلمية أعطاني راحةً نفسيةً جيّدةً لم تكتمل، إلا بالتّنقّل والسياحة في بلاد الله الواسعة.

المنظرُ الجميل، أوقفني بصمتٍ وذهولٍ أمامَ سِحره الطبيعيّ الخَلّاب. لم أنتبه للوقت يمضي، وصديقي يتفقّد خلايا النحل التي يربّيها ويعتني بها، خاصَّةً أنَّ موسمَ أزهار أشجار الحمضيات يُنبئ بمحصولٍ وافرٍ من العسل اللذيذ، الذي يحمل طعماً مميَّزاً تشعر بأنه ممزوجٌ بطعم البرتقال والليمون!

مضت عِدَّة ساعاتٍ وصديقي مشغولٌ بالعناية بخلاياهُ الأثيرةِ على قلبه، وأنا مذهولٌ بجمال الطبيعة وسِحر منظرها وشذى عبيرها. كانتِ الجبالُ والوديان جميعُها ملأى بالأزهار والأعشاب النضِرة المشبَعة بماء المطر المنهمرِ طيلة الأيام الماضية من شهر نيسان.. الربيعُ يصرخ بكلِّ عنفوانه متحدّياً شِتاءً قاسياً تجاوزه وتغلّب عليه. وها هي كلُّ الحقول قد تجاوزت قسوةَ الظروف، وتفتَّحت حياةٌ جديدةٌ كأنها ولادةٌ جديدة، معلِنة أنَّ الحياة رغم كلِّ شيءٍ تتغلب على عقباتها كلّها، وتعطيك درساً في الانبثاق والتفاؤل بعدَ كلِّ كُمُونٍ وخُفوتٍ اضطراريّ، قد تحسبه موتاً وفناء...

مرَّتِ الساعاتُ كلمح البصر، لا أذكر منها إلا لوحةً ملوَّنةً رائعة، ورائحةً منعِشةً ساحرة، ولم أشعر إلا بصديقي ينبئُنِي بموعد النزول إلى البلدة الوادعة على شاطئ البحر، كيلا يدركَنا الليلُ المعتِمُ وتتقطع بنا السبل، حيث لا وسيلةَ للتنقُّل بعدها إلا مشياً على الأقدام. وافقته النزولَ شرطَ أن نعود في اليوم التالي في مثل الموعد الذي أتينا به، فأبدى استعدادَه الطبيعيَّ، لأن هذا عمله شبه اليومي الذي يجني منه رزقَه ورزقَ عياله.

نزلنا إلى مكان مأوانا حيثُ تناولنا طعاماً ساخناً لذيذاً، وشربنا الشاي

حول مِدفأةٍ مشعَلةٍ بنار الحطب وبقايا الزيتون المطحون بعد عصره واستخلاص زيته. ونحن نشتَمُّ رائحة زيت الزيتون المحترق في المِدفأة، تلك الرائحة اللذيذة المنعِشة، كنا نتحدث عن جمال الطبيعة وقيمة تلك الحقول والجبال، وما وهبها اللهُ من جمالٍ وبيئةٍ طبيعيّةٍ فريدة، ثم شعرنا بالرياح تشتدُّ حولنا خارجَ المنزل. فقال صديقي: إنها رياحُ شهر نيسان الوقتيّة، التي لا تلبث أن تزولَ خلالَ ساعتَين أو ثلاث. وحقيقة لم نشعر متى هدأت الرياح، ولا متى شعرنا بالنُّعاس الشديد، فنِمنَا بعُمقٍ وهدوءٍ بسبب الإشباع والانتعاش من الهواء الطلق الذي تشرَّبْناه بلذَّةٍ ونقاءٍ طِيلة اليوم.

ومع تباشير الفجر استيقظنا للصَّلاة والذِّكر، وبعدها لبثنا فترةً ممتعةً نتجاذب أطرافَ الحديث مع فنجان القهوة المُحمَّصة يدوياً في المنزل، والمطحونة أمامَنا بمِطحنةٍ صغيرةٍ يدويةٍ تشعرك وكأنك تعيش أياماً من الماضي البعيد عن التقنيَّة وتعقيداتها، وتُشعِرك بأنَّ الحياة مازالت آمنةً مطمئنّة، فيها السرورُ والهدوءُ والعذوبة الحالِمة...

خرجنا مع شروق الشمس اللَّامعة في السماء، وركبنا أوَّلَ وسيلة مواصلاتٍ وجدناها من الوسائل التي تنقل الفلاحِينَ يومياً إلى الحقول والقرى المجاورة. كان الجميع يتحدّث بهدوءٍ وفرَحٍ وطمأنينة، إلا أنا الصامتُ المتأمِّلُ في يومٍ أقضيه بين الأزهار الساحرة الممتدَّةِ على مدى البَصر، والتي تملأ الجبال والوديان بمختلف الألوان والروائح الزكية.

ترجَّلنا في مكاننا المخصَّص، وكانت النظرة الأولى كافيةً لكي تجعلَني أشعرُ بالصّدمة المفاجِئة الصّاعقة. نظرةٌ أذهلتني وأخرستني عن الكلام.. لقد زالت غالبيّةُ الأزهار من فوق أغصان الأشجار المورِقة والمزهِرة.

كانت رياحُ أمسِ العاتيةُ، رغم قِصَرِ مدّتها، هي السببُ في مجزرة الزهور تلك. رياحٌ مُزَمجِرةٌ لم تُبقِ ولم تَذَرْ من الزهور إلا القليلَ القليل, الذي لا يتجاوز العُشرَ أو أكثر بقليل!

وقفتُ محزوناً على منظر البارحة السّاحر، أراقب المنظر الجديد بتحسُّرٍ وألمٍ، خالطه عملٌ عقليٌّ بَحتٌ يحسب بطريقةٍ اقتصاديةٍ

مادِّيَّةٍ بحتة، كم من الخسائر لحقت هؤلاءِ الفلاحين المساكين؟!
إنَّ كلَّ زهرةٍ تتحول إلى ثمرةٍ من البرتقال أو الليمون أو اليوسفيّ، وضياع هذه الزهرة هو ضياعٌ للثمار ذاتها، وبالتالي فقدانٌ وخسارةٌ لبعض المحصول، وبعض المال المرجوّ منه، فما بالك بفقدان جُلِّ المحصول والمال الموعود..
إنها خسارةٌ ماليّةٌ فرديةٌ للفلّاح صاحبِ الشجر، وخسارةٌ اقتصاديةٌ جماعية للاقتصاد القوميّ الذي ينتعش كلما زاد الإنتاجُ الزّراعيّ وفرةً وخصوبة. هكذا كنت أفكِّر بالخسارة المالية والاقتصادية، وليس فقط بالخسارة الجمالية.
وأنا أفكِّر وأدوِّر تلك الأفكارَ في عقليَ الاقتصاديّ الذي أراه محلِّلاً منطقياً واقعياً، ألقى عليَّ السلامَ رجلٌ عجوزٌ من فلاحِي تلك المنطقة الجبلية، فالتفتُّ إليه ورددتُ السلام عليه بشيءٍ من الحزن والأسى. كان سبعينياً هميماً يحمل عصاةً لا يتوكَّأ عليها بل يشير بها عند لفظ كلِّ كلمة يتكلَّمها.
عرَّفَني عن نفسه وسألني عن اسمي فعرَّفتُه عن نفسي. ثم استلم هو ناصيةَ الحديث بعدها، بادِئاً بشكر الله على نعمة الإيمان والحياة والسِّتر وباقي النعم التي يعجز عن عدِّها. هنا قاطعتُه فوراً وبلهجة حزينة متأنّية وكأنها تعتذر عن ذنبٍ أحدثته.
قلتُ له: يا عمُّ عوَّضكم الله عمّا خسِرتُموه ليلةَ أمس.
قال: وما الذي خسرناه ليلة أمس يا بُنيَّ؟
قلتُ: الرياح أذهبت جُلَّ محصولكم، ونهبت ثمارَكم المرجوَّة، وألقتها في الفضاء.. اللهُ وحدَه يعلم أين انتهى بها المطاف.
قال: لم أفهم ماذا تقصد يا بُنيّ؟ أيُّة خسارةٍ؟ وأيُّة رياحٍ؟ وأيُّ فضاءٍ؟ أحرجني كلامه، فكيف لي أن أشرح لهذا الفلاح الأمِّيّ المسكين الذي يبدو أنه لم يدرك الكارثة التي حلت به!
قلتُ بهدوء: يا عمّ أتيتُ في الأمس إلى هنا وقد كانت كلُّ الأشجار ملأى بالأزهار اليانعة النّضرة، وكلُّ زهرةٍ تتحول إلى ثمرة. أي أنَّ محصولكم من الحمضيات كان مذهِلاً ووفيراً، حتى جاءت عاصفة

الليلة الماضية ونزعت من الأشجار جُلَّ أزهارها، وحَرَمَتْكم جلَّ محصولكم الوفير. أليس كذلك؟ أليس هذا ما حدث ليلة أمس؟

قال الفلاح في هدوء: يا بنيَّ لماذا أنت حزين ومشفِقٌ علينا؟

قلتُ: لأنَّ خسارةً ماليةً كبيرةً قد وقعت بكم، وخسارةً اقتصاديةً حقيقيةً قد وقعت باقتصاد بلدنا كله.

قال الفلاح: يا بنيَّ إنَّ رياح الأمس رِزقٌ ساقه الله إلينا، فنحن في كلِّ عام، وفي هذا الوقت بالضبط، وبعد تفتُّح الأزهار كلها، ننتظر هذه العاصفة المباركة لكي تنتزعَ كلَّ الأزهار الضعيفة وتبقي فقط على الأزهار القوية الثابتة، التي ستصبح ثماراً غضَّةً ناضِجة.

قلتُ له: لم أفهم! ماذا تقصد؟

قال: لو أنَّ كلَّ زهرةٍ من أزهار أَمْسِكَ الجميلِ تحولت إلى ثمرة، لعجزت الشجرةُ عن حملها كلها وتغذيتها بالشكل الأنسب لها. ولكنَّ عاصفة الأمس تنزع كلَّ الأزهار الضعيفة التي لو بقيت لأنتجت ثماراً ضعيفة تثقِل الشجرة، ولا ننتفع من بيعها بشيء.

أمَّا الآن، وبعد زوال كلِّ زهرةٍ ضعيفة، فقد بقيت الأزهار القوية التي تتشبَّث بأمهاتها بصلابةٍ ومتانة، فتنشأ ثماراً كبيرة ناضجة ذات طعم وشراب لذيذَين، فنبيعها بأعلى الأسعار ونربح وافر الربح.

يا بنيّ – تابع الفلاح قائلاً - لا تعترِض على فعل الله فينا، فهو لم يرسِل لنا سوى بُشرى خيرٍ لنا، لكي تنزاح عنا الثمارُ الضعيفة التي لو بقيت لتغذت على أمِّها الشجرة، ولَحَرَمت غيرَها من الغذاء والنمو السليم الكامل .

إنَّ ما رأيتَه مصيبة لنا، ما هو إلا فرصةٌ ذهبية وُهِبَت لنا لكي نزداد ثراءً وَوَفرة.

هذا الفلاحُ علّمني مَن الجاهلُ المسكين فينا؟ هذا الفلاح علّمني ما لم تعلّمني إيَّاه كلية الاقتصاد كلها. هذا الفلاح علمني درساً في الاقتصاد لن أنساه طِيلة حياتي...

هناك فُرصٌ يجب أن تضيع، لتترك المجال لفُرصٍ أخرى يجب أن تأتي، ولكن بشرط أن يتهيَّأ لها الظرفُ المناسب، ولولا ضياع الأولى ما كانت لتأتي الثانيةُ المناسبة. نعم هناك فُرَصٌ ضائعة، ولكن أيضاً هناك فُرَصٌ يجب أن تضيع.

فتبّاً لعلمِ اقتصادٍ، لا يعلمنا إلا الاهتمامَ بالكمِّ ولو على حساب النوع. وحينَها نخسر الكمَّ والنوع معاً.. حقاً إن اللهَ قيُّومُ السماوات والأرض، عالِم الغيب والشهادة.. إنه قانونٌ كونيٌّ جديد، علَّمنا ألا نبتئِسَ على شيء أبداً.. إنه قانونُ الفُرصِ الضَّائعة!

* د. محمد إقبال الخضر

* باحثٌ اقتصاديٌّ سوريٌّ

الآيزو

قِصَّةُ نجاحٍ مستمِرّ

حسان فروح*

في ظلِّ الانفتاح العالميّ أصبح لا بدَّ من وجود معاييرَ مشتركةٍ توحِّدُ المبادئَ الأساسيَّةَ في مجالات الحياة المختلفة، وذلك من أجل تقليل حدود الاختلاف إلى المستوى الأدنى ومِمَّا يوفّر القدراتِ المستهلكةَ من وقتٍ وجهدٍ ومال، وتوظيفها في مجالاتٍ أخرى تخدم المصالحَ البشرية، وتساعد على التطور بشكلٍ عامّ.

ومن هنا جاءت فكرةُ المواصفات(Standards)، وذلك لتوحيد المعايير مع ترك المجالِ لعمليّةِ التطويرِ المستمِرّ، حيث تتجلّى أهمّيةُ المواصفات والمقاييس في كافَّة مناحي الحياة، فقد أصبحت حياتُنا أكثرَ جودةً وإتقاناً بسبب تلك المواصفات الخاصَّة التي ساهمت بشكلٍ فعّالٍ جداً في تأمين الجودة والسّلامة العامَّة للمنتَج أو الخدمة، كما أنَّها تعملُ على ضمانِ التوافقِ والتبادُليَّة وخفضِ التشكيلات غيرِ اللازمة وزيادةِ الفاعليَّة الاقتصادية للعمليات والإجراءات.

كما تساعدُ على حماية صِحَّةِ الإنسان والحَيوان والبيئة العامة.

وهي تحقِّقُ الشفافيةَ في القضايا الفنيَّةِ والتِّقنيّة بتوفير مصطلحاتٍ فنيّةٍ مشترَكَة، وبالتالي منحُ الثقةِ والاطمئنان في سلامة المنتَجات ومستوى الخدمات حمايةً للصِّحَّةِ والسلامة، وحفاظاً على البيئة، وضماناً للتنمية المستدامة.

وأخيراً، فإنَّ توحيدَ المواصفات القياسية يُعتَبرُ خطوةً هامةً نحوَ الحركة العالمية الحُرَّةِ للسِّلَع والبضائع.

وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ يمكن الاستشهادُ بها للتدليل على أهمّية هذا النشاط، بدءاً بسلامة الغذاء ومستويات السّلامة في الأجهزة الكهربائيّة والمنزليّة والحفاظ على الطّاقة المتجدّدةِ والأبنيَة الذكيَّةِ وسلامة المحيط السَّكنيّ والنشاط المعيشيّ، مروراً بمواصفات أعمالِ التصميمِ والصيانةِ والإدارة البيئيَّةِ والجودةِ والتجارة الإلكترونيّة والإنترنت والمعاملات المَصرفيَّة والنقل، وانتهاءً بالمبادلات التجاريّةِ والصناعيّة التي تتمُّ جميعُها وِفقَ أدلةٍ وتوجيهاتٍ وأنظمةٍ تحدِّدُها المواصفاتُ بدِقَّة، كما أنَّ نشاطَ القياس والمعايَرة وفقَ المواصفات الدّولية يضمن حقيقةَ إتقانِ إعدادِ

هذه المواصفات والتَّحقُّقِ من مطابقتها، حيث تشكل معايير/ أدوات طرق الفحص والمعايَرة وإجراءات التحقق من المطابقة أساسَ اتّفاقياتِ الاعتراف المتبادَل بشهاداتِ المطابقة وعلامات الجودة، بما يُيَسِّرُ تبادلَ السِّلع والخدمات.

من هنا كانت فكرةُ إنشاءِ مُنظمَّةِ الآيزو، حيث اجتمع في لندن ٦٥ شخصاً من ٢٥ بلداً لمناقشة مستقبَل المواصفات القياسيَّة. وقد كان ذلك في عام ١٩٤٦، حيث إنه تمَّ اعتمادُها كمُنظمَّةٍ رسميّاً في عام ١٩٤٧، وذلك بتشكيل ٦٧ لجنةً تقنيَّةً مؤلَّفةً من خبراءَ في مجالاتٍ متعددة. والآن تمثِّل الآيزو «ISO» International Organization for Standardization- (المنظمة الدولية للتقييس). وهي اتِّحادٌ عالميٌّ ومنظَّمَةٌ غيرُ ربحيةٍ مقرُّها الحاليُّ في جنيف، وتضمُّ في عضويّتِها ممثلِين من ١٦٤ دولةً، وكلمة «ISO» هي ليست اختصاراً للاسم السَّابق، إنما أُخِذَت من كلمةٍ يونانيةِ الأصل ISOS، وهي تعني التَّساوي. وقد أصدرت حتى الآن أكثر من ١٩٠٠٠ مواصفة في مجالاتٍ

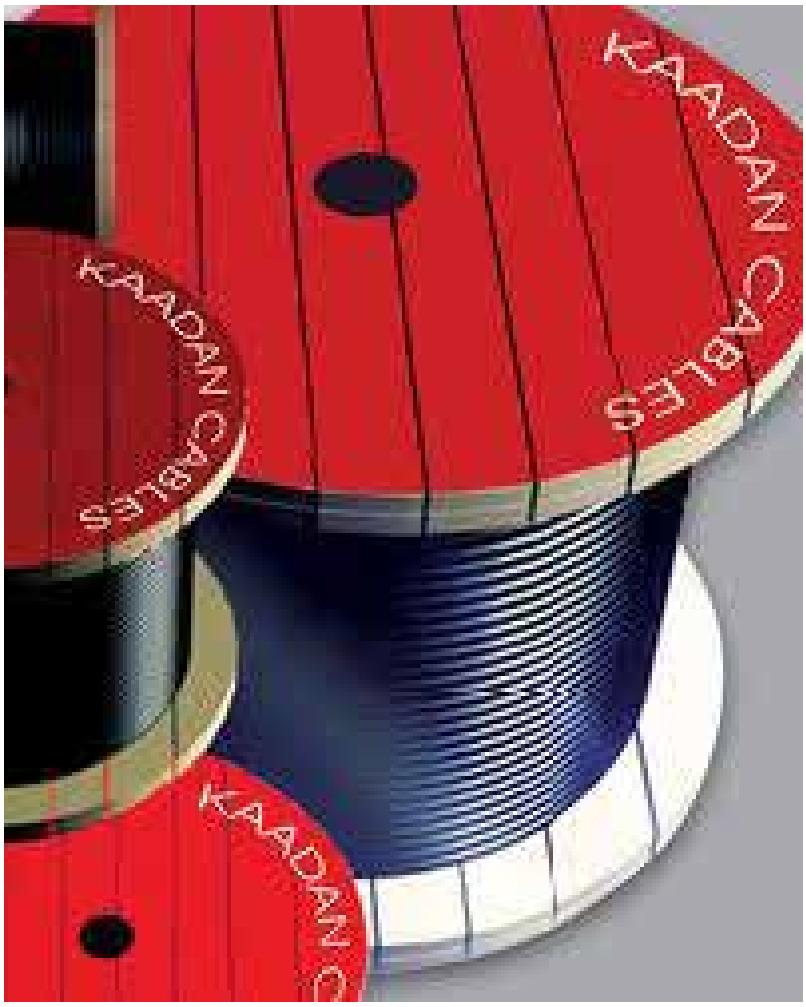

متعدِّدَةٍ كالهندسة والزراعةِ والتِّجارة والنّقلِ وأساليب التوزيع والكهرباء والاتصالات، منها ما هو خاصٌّ وتِقنيٌّ يطبّق في مجالاتٍ محدَّدة، ومنها ما هو عامٌّ يمكن تطبيقُه في العديد من المجالات، مثل أنظمة إدارةِ الجودة والبيئةِ والسلامة والمختبرات وسلامة الغذاء. وكذلك أَمْن المعلومات، وذلك اعتماداً واستفادةً من المواصفات المتوافرة سواءً العسكريَّة منها والمدنيَّة كالمواصفات الأمريكيَّة والبريطانيَّة.

*** مركز التطوير المتكامل**

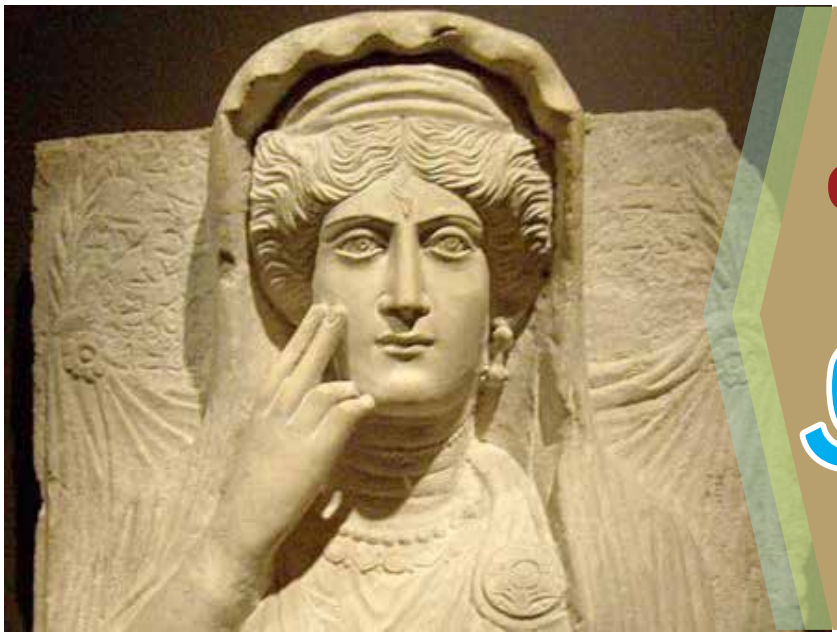

الدِّرعُ الأزرقُ

تأليف: تيم مالفي، جيف ساغنيب
ترجمة: همام عبد الحق

في العاصمةِ الأمريكيّة واشنطن أعلن النائبُ إليوت ال انجل من الحزب الديمقراطيّ الحاكم في مجلس العُموم عن وزارة الخارجية، والنائب كريس سميث رئيس اللجنةِ الفرعيّة عن إفريقيا والصِّحَّة العالميّة والمنظّمة الدّوليّة لحقوق الإنسان، بأنَّهما قدَّما قانوناً لتحسين الجهود الأمريكيّة للحفاظ على الملكيَّة الثقافيَّة في كلِّ أنحاءِ العالم وقَطعِ أحدِ مصادر دخل الدولة الإسلامية في العراق والشام. قانونُ الحماية والمُحافظة على الملكِيَّة الثقافية العالميَّة (هـ. ر. ٥٧٣٠) سيقدِّم خطواتٍ لتضامن الجهود عبرَ الحكومات للمحافظة على التُّحف الثقافية في أيِّ مكانٍ يمكنُ أن يُهدَّدَ بالصراعات، أو عدمِ الاستقرار، أو الكوارث الطبيعيّة... يقول النائب انجل: «إنَّ كلاً من الأدب والفنِّ المِعماريِّ والموادِّ الموَثَّقة ـ الملكيّة الثقافيّة ـ تلعب دوراً حيوِيّاً في تراث الشعوب بكلِّ أنحاء العالم. وعندما تضيعُ هذه الموادُّ بسبب الحرب أو الكوارث لا يمكن استبدالُها أبداً، بحيث تضيع أجزاءٌ من هذه الثقافات للأبد.

منذُ الحرب العالمية الثانية، كانت الولايات المتَّحِدة رائدةً في حماية الملكيّة الثقافيّة؛ أمَّا اليوم فإنَّ الدولةَ الإسلاميَّة ومنظماتٍ إرهابيةً أُخرى وجدت مصدرَ دخلٍ مُربِح في التّحف التي يهرّبونها من مناطق الصِّراع، لذلك يجب أن يكونَ لدى الولايات المتّحدة ردَّةُ فعلٍ تحرمُ الإرهابيّين والمجرمِين القُدرةَ على تحقيق الأرباح من خلال نهبِ العالم من أغلى كنوزه».

أكَّدَ النائبُ سميث بأنه في مراتٍ عديدةٍ من تاريخ العالَم حاول المعتَدِين أن يمحوا ذاكرةَ وهُويَّةَ الناس المضطهدِين، فهو يقول: «إنَّ إرثنا الثقافيَّ العالميَّ قد كان دائماً هدفاً للمتطرّفين الذين أرادوا طمسَ الهُويَّةِ العِرقيّة والدينيّة للأقليَّات من الأراضي التي يحاولون السيطرةَ عليها أو احتلالها. إنَّ تنظيمَ الدولة الإسلاميّة قد دمَّر في تموزَ الماضي قبرَ يوحنَّا في العراق، حيثُ كان رابطاً

حيَّاً إلى النّبي يوحنَّا الذي ذُكِر في الإنجيل، وهو يقع على مشارف نينوى ـ عاصمةِ السّريان العريقة.
إنَّ العملَ جارٍ على قدمٍ وساقٍ للحفاظ على إرثِنا الثقافيّ المشتَرَك، إذ يهدفُ إلى حِرمان المتطرّفين، كتنظيم الدَّولة الإسلاميَّة، من مصدرِ دخلٍ لهم, من بيعِ التّحف الملطخة بالدّم. وهذا أيضاً جبهةٌ أُخرى للحربِ العالميَّة ضِدَّ الإرهاب».
سيدفع تشريعُ انجل وسميث إلى تعيين منسّقٍ في البيت الأبيض لحماية الملكيَّة الثقافيَّة العالميَّة، وللتعاون وإثارة الجُهود بينَ وكالاتٍ فِدراليّة متعدِّدة، تتضمّن نشاطاتٍ دبلوماسيةً وعسكرية، وأشياءَ أخرى من أجل فرض القانون بالقوَّة، والعمل على تشكيل قوَّةٍ للحفاظِ على التّحف الثقافيَّة.
ستُفرَضُ أيضاً قيودٌ على الواردات الثقافيَّة المنقولَة بطريقةٍ غيرِ شرعيَّةٍ من سورية، وحماية الملكيَّة التي تتعرَّض لخطر الفقدِ أو الدَّمار

على يد تنظيم الدّولة الإسلاميّة ومنظَّماتٍ إرهابيَّةٍ وإجراميَّةٍ عالميَّةٍ أُخرى.
لعبَتْ قوَّاتُ الولاياتِ المتّحدة المسلّحَة دوراً كبيراً ومهمّاً في حماية الملكيَّة الثقافيَّة, وحمايةِ الأوابد الأثريَّة والفنون الجميلة والأرشيفات. وقد عُرِفَ هذا الفريقُ قديماً باسم «رجال الأوابد التاريخية»، حيث كانوا موضوعَ فيلم عمل عليهم مؤخراً.
إنَّ مجلسَ الولايات المتَّحدة الذي يُسمَّى «الدّرعَ الأزرق» يدعم توظيف اتفاقيَّة «هايج ١٩٥٤» لحماية الملكيَّة الثقافيَّة أثناءَ الصِّراعات المسلّحة.
فُقِدت الملكيّةُ الثقافيّة مؤخراً في مصرَ بسبب الاضطرابات السياسية، وفي العراق بعدَ سقوط صدّام حسين، وفي سورية خلالَ الحرب الأهليَّة، وفي العراق وسورية بسبب تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة، وفي مالي وأفغانستان بسبب نشاطاتٍ إسلاميةٍ مُتَطرّفة، وفي هايتي ـ زلزال عام ٢٠١٠ وتسونامي المحيط الهندي عام ٢٠٠٤.

إلى صديقةٍ دمشقيّةٍ

شعر: أمل دنقل

إذا سباكِ قائدُ التَّتارْ
وصرتِ مَحظيَّة
فشدَّ شعراً منك سعارْ
وافتضَّ عذريَّة
واغرورَقت عيونُك الزُّرقُ السَّماويَّة
بدمعةٍ كالصَّيف، ماسيَّة
وغِبتِ في الأسوارْ
فمَن تُرى فتَحَ عينَ الليلِ بابتسامةِ النَّهارْ؟

ما زلتُ رغمَ الصَّمتِ والحِصَارْ
أذكرُ عينَيك المُضيئَتَين من خلف الخِمَارْ
وبسمةَ الثّغرِ الطُّفوليَّة
أذكرُ أمسياتِنَا القِصَارْ
ورحلةَ السَّفحِ الصَّباحِيَّة
حين التقينا نضرِبُ الأشجَارْ
ونقذِفُ الأحجَارْ
في مساءٍ فسقية.

قلتِ – ونحن نسدُل الأستَارْ
في شُرفة البيتِ الأمامِيَّة
لا تبتَعِدْ عنِّي
أُنظُرْ إلى عينِي
هل تستحِقُّ دمعةً من أدمُعِ الحزنِ؟
ولم أجُبْكِ، فالمباخِر الشآميَّة
والحبُّ والتّذكارْ
طغَت على لحنِي
لم تُبْقِ منِّي وهماً، أغنية

وقلتُ، والصَّمتُ العميقُ تدُقُّه الأمطارْ

على الشوارعِ الجليديَّة
عدتُ إليكِ... بعد طولِ التِّيه في البحارْ
أدفنُ حزنِي في عبيرِ الخَصلات الكستنائيَّة
أسيرُ في جنَّاتك الخُضرِ الرَّبيعيَّة
أبلُّ ريقَ الشّوقِ من غُدرانِها
أغسِلُ عن وجهِيَ الغُبارْ.

نافحتُ عنكِ قائِدَ التَّتارْ
رشقتُ في جواده... مُديَة
لكنَّنِي خشيتُ أن تَمسَّكِ الأخطارْ
حين استحالت في الدُّجى الرُّؤية
لذا استطاع في سحابةِ الغُبارْ
أن يخطفَ العذراءَ... تاركاً على يدي الأزْرَارْ
كالوهم، كالفِريَة.

... ما بالُنا نستذكِرُ الماضِي، دعي الأظفارْ
لا تنبُشِ الموتى، تعرّى حُرمة الأسرارْ

يا كم تمنَّت زُمرةُ الأشرَارْ
لو مزَّقوا تنُّورةً في الخصر... بُنيّة
لو علّموكِ العزفَ في القيثارْ
لِتُطربيهم كلَّ أمسِيَة
حتَّى إذا انفضَّت أغنياتُك الدِّمشقيَّة
تناهبوكِ؛ القادةُ الأقزامُ... والأنصارْ
ثم رمُوك للجنودِ الانكشاريَّة
يقضُون من شبابِك الأوطَارْ.

الآنَ... مهما يقرَعُ الإعصَارْ
نوافِذَ البيتِ الزُّجاجيَّة
لن ينطفئَ في الموقدِ المكدودِ رقصُ النَّارْ
تستدفِئُ الأيدِي على وهجِ العناقِ الحَارّ
كي تولدَ الشمسُ التي نختَارْ
في وَحشةِ الليلِ الشِّتائِيَّة...

الشاعر أمل دنقل

وُلدَ محمَّد أمل فهيم أبو القسَّام محارب دنقل المعروف بـ «أمل دنقل» عام ١٩٤٠ في الصَّعيدِ المصريّ.
كان والدُه عالِماً من علماءِ الأزهر، مِمَّا أثَّر في شخصيَّته وقصائده بشكلٍ واضحٍ. كذلك ورِثَ أمل موهبةَ الشِّعرِ عن والده الذي كتب الشِّعرَ التقليديّ.
فقَدَ والدَه وهو في العاشرة من عمرِه مما أثّر عليه كثيراً وأكسبه مسحةَ حزنٍ تغلبُ على كلِّ أشعاره.
رحَلَ إلى القاهرة بعد أن أنهى دراسته الثانويّة, والتحق بكليّة الآداب، حيث انقطع عن الدراسة منذ العامِ الأوَّل لكي يعمل. عمِلَ موظفاً بالمحكمة والجمارك، وفي منظمة «التضامن الأفروآسيوي»، لكنه كان دائماً ما يترك العملَ وينصرفُ إلى كتابة الشِّعر!
استوحى أمل قصائدَه من رموز التراث العربيّ، وقد كان السائدُ في ذلك الوقت التأثرَ بالميثولوجيا الغربيّة عامَّة واليونانيَّة خاصَّة.
أُصِيبَ أمل دنقل بالسَّرطان، ورحلَ عن دُنيانا عام ١٩٨٣، لتنتهيَ معاناتُه مع كلِّ شيء. صدرت له سِتُّ مجموعاتٍ شِعريَّة: «البكاءُ بين يدَي زرقاء اليمامة»، «تعليقٌ على ما حدث»، «مقتلُ القمَر»، «العهدُ الآتي»، «أقوالٌ جديدةٌ عن حربِ بسوس» «أوراقُ الغرفة ٨».

قصيدتان للشاعرِ الرَّاحلِ رياض صالح الحسين

اعتيادٌ

أعدَدتُّ لكِ فنجانَ القهوة
فنجانَ قهوةٍ ساخنةٍ
القهوةُ بردتْ،
وما جئتِ

وضعتُ وردةً في كأسِ ماء
وردةٌ حمراءُ حمراء
الوردةُ ذَبُلتْ،
وما أتيتِ

كلّ يومٍ أفتحُ النافذة
فأرى الأوراقَ تتساقطُ،
والمطرُ ينهمرُ،
والطّيورُ تئِنُّ،
ولا أراكِ

لقد اعتدتُّ
أن أُعِدَّ القهوةَ كلَّ صباحٍ لاثنينِ
أن أضعَ وردةً حمراءَ في كأسِ ماءٍ
أن أفتحَ النوافذَ للرّيحِ و المطرِ و الشمسِ
لقدِ اعتدتُّ
أن أنتظركِ أيّتُها الثورة.

ثورةٌ صغيرةٌ

بعدَ قليلْ
سأقومُ بثورةٍ صغيرةٍ
في هذه الغرفةِ السوداء،
أمزّقُ الكتبَ و الأحزانَ و الصُّورَ
القديمةَ
وأضعُ الكرسيَّ مكانَ المِدفَأة،
بعدَ قليلٍ... بعد قليلْ
سأفكّر بالزهورِ و يَعَاسيبِ الغاباتِ،
والخيولِ المرتعشةِ خلفَ القضبان
بعدَ قليلْ
سأقومُ بثورةٍ صغيرةٍ
أضعُ رأسي فوقَ الوِسَادةِ
أغمِضُ عينيَّ على حلمٍ متوحِّش
أمدُّ يدِي إلى قلبي
وأغنّي لروزا لوكسمبورغ

بَرْد

مُختاراتٌ من قصيدة «بَرْد» للشاعر عبد الرحمن الإبراهيم

لَبِسَ المكانُ خيامَهُ
متدفِّئاً بدموعِ مَنْ بعروقهمْ جَمُدَ النّجِيعْ
وتقاسمَ النُّزلاءُ أشباهَ الخيامِ
وبالتّساوي..
بينَ آلامِ الجميعْ
صَفَنُوا على أبوابها
وتَعوذَبوا بالبرد مِنْ أجوافِها!!
لكأنّها رِئةُ الصقيعْ
وطنٌ فظيعْ
الخيمةُ الثكلى يراوِدُها المُموَّلُ..
وقتما صرخَ الرضيعْ
وقعتْ على كفِّ المخيّمِ بغتَةً
(من غير طلْقٍ موجعٍ)!
أُولى ثمارِ الزَّمهريرْ
فبِطَلْقَةٍ مِنْ مدفعٍ
تُعفى جميعُ مواخضِ الخيماتِ..
مِنْ طلْقِ الولاداتِ العسيرْ
كيف التي بالموت – ممّا في مضامينِ
المخيّمِ –
تستجيرْ؟!
وطنٌ حقيرْ
جَذّتْ ضفائرَها الكرومُ وأشْعلتْها..
للخيامِ الحافياتِ من الأمانْ
والبردُ.. بَرْدُ!

قطعَتْ أصابِعَها الكرومُ وأضْرَمَتْها
ثُمَّ كسَّرَتِ الزُّنُودَ وأحرَقتْها
للخيام العارياتِ من الحَنانْ
والبَرْدُ.. بَرْدُ!
أُوّاهُ يا كُوخي الذي عيناكَ – رغم
البرد والعتَماتِ –
ما زالتْ تَنُوسُ كما الفوانيسُ
العتيقةُ..
بينَ أهدابِ الضبابْ
في بال حزنك دائماً
للرّوح تتْرُكُ مَطْرَحَاً
بينَ العذوبةِ والعَذابْ
أفكلّما أرَّقْتُ تحتَ الشّاي جَمراً..
أرَّقَتْ عيناكَ قلبي..
ثُمَّ أحْضَرَتِ الغيابْ
الوقتُ غيرُ مناسبٍ لقراءَتِي
فاقرأ بِهيبَةِ وِحْشَتِكْ
ما شئتَ من أدبِ المشاعرِ..
في أمُومةِ نَعْجَةٍ مرَّتْ بوهمِ وليدِها
رِيحُ الذئابْ
تالله تفتأُ تنبشُ الصورَ الحبيبةَ..
ثمَّ تمسحُ غبْرَةَ التاريخ عنها..
كيْ أرُّشَ على سُهادِ جُفونها
شَوقاً تخضَّلَ بالعِتابْ
أتظنُّ «عشتارَ» القصيدةِ أشْرَكَتْ في
كُحلها
أيْ آمنتْ بعقيدةِ الفيروس..
فاختنقَ الهوى متأثراً بالبرد..
حتّى ماتَ في حوضِ القوافي غيلةً
حبقٌ ووَرْدُ؟!

صباحكَ الجرحُ

شعر حسن النيفي

صباحُكَ الجرحُ إنـّـــي فيهِ ألتحِفُ
ومِن لهيـــــبكَ جمرُ الشِّعرِ أقتَطِفُ

أرنُو إليـــكَ، بحـارُ الحزنِ تغرِقُني
وكلَّما ذرفَتْ عينـــــاك أرتَشِفُ

إنّي حبستُ بعينِي ألفَ هـــــاملةٍ
إلا عليـــكَ، فطرفي هاملٌ سَرِفُ

مؤزّرٌ بتِـــلال المـــوت يا وطني
في راحتيكَ ضميـرُ الكون يرتَـجِفُ

نغفو بصدركَ أحلامـــاً مُبَرعَمَةً
ومِن جراحكَ تبكيـــــنا فننذرفُ

أبكيـــكَ، لا دمعةً ذلّت لنـازلةٍ
بل للكرامـــــة من عينَيكَ تُختَطفُ

فكلُّ نبضةِ روحٍ فيـــــكَ نازفةٌ
وكلُّ بُقعةِ طُهرٍ فيـــــكَ تَنقصِفُ

لي من شموسكَ آمـــــالٌ مضيَّعةٌ
وفي جُفونكَ لـــــي ظلٌّ ومُنعَطَفُ

حلمٌ تشظّى، فمِن حورانَ طلعتُـــه
تُطوى بوَمضتهِ الأستـــارُ والسُجُفُ

فانداحَ كالموج يروي كلَّ ظامـــئةٍ
إلى الحيـــاة، وفي الأرواحِ يـزدَلِفُ

أستنطِقُ الدارَ، أهلوكِ الذين قَضَوا
على الحجارة مِن أجسادهم نُتَـــفُ

محزونةٌ بشَميمِ الموت عابـــــقةٌ
تسري بأنقاضِها أصوات من هتَــفُوا

حــامَ الصغارُ على أحجارها فلَكَم
يسَّاءَلون، وغيــرَ الموتِ ما عرفُــوا

قد يحتَسُون قذَى عينَيــهِمُ عطشاً
لكنَّهم من كؤُوس الذلِّ مـــــا رَشَفُوا

دمشقُ يا ابنةَ قومٍ مـــا بِهِم وجعٌ
إلا عليـــــــكِ، فكم عانوا وما أسِفُوا

جـادُوا بكلِّ نفيسٍ ساحَ من دَمِهِمْ
على المروءة ما أخطـــــاهمُ الشَّرفُ

يا كبريـــــاءَ دمٍ يسري بزخّتِهِ
مَجدُ العصور، وتُطوى دونَه الصُحُفُ

كلُّ السَّكاكين في أعطـــافهم غُمِسَتْ
وكلمـــــــا أمعَنَتْ في طعنهِم نزفُوا

تبايَنَتْ في المُدَى أوجـــاعُهم شيَعاً
لكنَّهم في لقـــــاءِ الموت ما اختلفُوا

سِفْرُ البطولة جرحٌ طـــــافحٌ ويدٌ
تستلطفُ الجمرَ حينَ الصبرُ يُحتَرَفُ

نهـــيمُ في الأفْقِ أسراباً فينـــكِرُنا
أخٌ، ويَنهرُنا جـــــــارٌ، فننكَسِفُ

كم مِن نعيـــــمكَ قد روّيتَ لهفتَهمْ
ومِن حنانكَ كم ذاقـــــوا وكم غرفُوا

فقد نجـــــوعُ وقد نَعرى وليس لنا
ظلٌّ يُعيـــــــــنُ على حرٍّ ومُلتَحَفُ

لن نشتكِي الجَورَ مازالت مواجعُنا
أنقى وأنبلَ من جَـــــورٍ بـــه عُرفُوا

صفوَ الحياة عرفنا، كلَّ سائـــــغةٍ
ومـــــــــا استبدّ بنا لهوٌ ولا ترَفُ

نلقى الشهادةَ سُمَّـــاراً لها، فمتَى
جدَّ اللقاءُ، فَفِـــــي جفنِ الردى نقِفُ

تشقى الرجولةُ كم في طبعها نُحِرتْ
لمّا تحطّم – مصلوباً – بها الشَّرفُ

إنْ يخطفوا النورَ من عينَيكَ يا وطني
ففي جِراحكَ فَجـــرٌ ليس يَنخطِفُ

قِصَّة القلعة

قِصَّة: حسيب عبد الرزاق *

انحرفتِ الشَّمسُ الذَّابِلةُ خلفَ الأبنية، كانت زخَّاتٌ من المطرِ تهطُل من سماءِ المدينة الكئِيبة، وسكنَ الصَّمتُ المُريبُ الشوارعَ بعدَ هدوءِ أزيزِ الرصَّاص الذي أرهقَ جُدرانَ الحيِّ القديم.

بعد شرودٍ دامَ لحظاتٍ طويلةً، رشَفَ أبو حاتمٍ ما بقِيَ من الشّاي في الكأس رشفةً واحدةً، وقال مخاطِباً أبَا مالك صاحبَ «السّوبّر ماركت» في الحيّ:

ـ أُقسِمُ إنَّه إيرانيٌّ..

توقَّفَ أبو مالكٍ عن تفريغِ قليلٍ من اللبن في الكِيس القابعِ على الميزان، وسأله مستفسِراً:

ـ أتقصدُ ذلك القنَّاصَ الذي يعتلِي القلعةَ؟

أجاب جازماً:

ـ بلى، أنا متأكِّد...

أحكمَ ربطَ كيسِ اللبن وناولَه للزَّبُون الصَّغير، وجلسَ قُبالةَ أبي حاتمٍ، وسأله بعينَين مكوَّرتَين ووجهٍ مُغضّن:

ـ وما أدراك أنت؟ ربَّما يكون إسرائيلياً؟..

زفَرَ طويلاً, وهو يصبُّ له الشَّايَ.. قال:

ـ اِسمع.. اِحكِ لي بالتَّفصيل ما الذي جَرَى بالتَّحديد يومَ أمس؟..

قال أبو مالكٍ بصوتٍ مختَنِق:

ـ لا أستطيع الكلام.. وغادَر البقَّاليَّة بخُطًى متكسِّرَة...

***

بالأمس عادَ الشابُّ جهاد من عمله في محلٍّ لبَيع الألبسة في السُّوق العتِيق وسطَ المدينة، وعلى بُعد خُطواتٍ قليلةٍ من بيته دوى صوتُ طلقٍ ناريٍّ كسرَ الصَّمتَ المطبِق.

شقَّ شقيقُه عبدُ الحميد البابَ بعينَين قلِقتَين، ورآه مرتَمِياً بدمٍ غزيرٍ يخرجُ كشلاّلٍ من رأسه المشجُوج، فهَرع نحوَه مفجوعاً، وانحنى لانتشاله من بركةٍ تشكَّلت بفعل المطر الغزير، ليَدوِي طلقُ رصاصٍ جديدٍ؛ ليَهوِي هو الآخرُ فوقَ جسدِ أخيه، مبتَلِعاً كُتلةً لزِجةً من الدّماء.

عادَ الرَّصاصُ يضجُّ الحيَّ من جديد، وشقَّ جارُهما الحدَّادُ أبو عبدو بابَ بيتِه منتظِراً، ومازال ممسِكاً بقبضة بابه الحديديّ المُزَركَش.. جاسَ بعينَيه الزَّرقاوَين عتمةَ الشَّارع، لتستقِرَّ عيناه على جثمانَي الشهيدَين، فهرولَ نحوهما بجسده البدِين مردِّداً بصوتٍ مرتَجِف: «الله أكبر, الله أكبر...»، ليدوِي طلقٌ ناريٌّ جديدٌ أرداه صريعاً فوق

جثمانَي الأخَوين!
اِحتشدَ أهل الحيّ عند منعطَف الشارع مفجوعِين وهم يحدِّقون بجثامِين القَتلى، واتخذوا من الجُدران دِرِيئَةً لهم، فانسلَّ من بينهم شقيقُ الشهيدَين الصَّغيرُ أمجد، وركض بِكُتلته الضَّئيلة نحوَ الشُّهداء، فدَوَى الرَّصاصُ من جديدٍ، وهَوَى بصمتٍ فوقَ الجثامِين، ليحتدمَ اللّومُ بين شباب الحيّ لتَركِ الصَّغير يهرُب إلى الموت!
اِنهمرَ مطرٌ شديدٌ لم تعرِفْه المدينةُ من قَبل، واختلطتِ الدّماءُ النَّازِفةُ مع الماء الجارِف لتبلُّلِ أقدام الواقفين خلفَ الجُدران، وناحت أمُّ الشّهداء بثيابِ الصَّلاة أمامَ باب بيتها وبدأت تلطُم وجهَهَا صارخة، وتعالت صيحاتُ الرّجال الحائِرة، وتعالت أصواتُ التكبير، وبرَقَتِ السَّماءُ ثمَّ أرعدَت، فتداعى جذعٌ ثقيلٌ للشجرةِ الهَرِمَة في الشَّارع فوقَ أسلاك الكهرباء، لتَتَراخى قليلاً وتسحبَ معها عمودَ الإنارة الذي ترنَّحَ كرَجُلٍ ثمِلٍ، وهبط إلى الأرض مُحدِثاً صوتاً أشبهَ بزلزال، تبعثَر الناس في الشارع، ثم اصطفُّوا أنساقاً بمحاذاة جدران بيوتهم، وامتدَّت شرارة كهرباءٍ صعقت الجَثامِين ليتصاعدَ من ركامهم دخانٌ برائحة اللحمِ المحترِق...
اِشتدَّ هطول المطر وأصبحت الرّيح تصفرُ بعنفٍ بين أزِقَّة الحيّ الضّيّقة العاتِمة، واختلطت الدِّماءُ النازِفةُ بِبِرَكِ الماء، وتعالى العويلُ من البيوت..
ركضت أمُّ الشهداء نحو جثامِينهمُ المتفحِّمة، فأمسكَ بذراعَيها شابَّان قويَّا البُنية لمنعِها، فأفلتَت منهم بقوَّةٍ تاركةً بعضاً من لحمِ يدَيها عالقاً بقبضاتِهم، وألقَت بوجهِهَا فوقَ الجَثامِين المتفحِّمة، وهي تنوحُ بأغنياتٍ حزينة...

***

على سطحِ القلعة القديمةِ المُطِلَّة على بيوت الحيّ القديم، كان القناص يتأمَّلُ مبتسِماً صوراً صامتةً لسكَّان الحيّ وهم يتناثرون كالنَّمل مع كلِّ طلقٍ ناريٍّ يوجِّهُه نحو أحدهم، وحين فَرَغَ من تنشيف بندقيَّته اللامِعة من بلل المطر، أخذ يفكِّكها إلى قطعٍ صغيرةٍ مستمتِعاً، ووضَعَها في صندوقٍ خشبيٍّ مبتسماً، ثم مدَّدَ جسدَه على سريره الحديديّ بملامحَ باردةٍ متأهّباً لمَغيبٍ جديد.
كان المطرُ قد غسل دماءَ الحيّ، وبقيت شعاراتُ إسقاطِ النظام راسخةً على الجُدران المشرُوخة.

* مواليدُ حمصَ عام ١٩٧٩، درسَ الإعلامَ في جامعة دمشقَ، وعمل محرّراً صحفيّاً في عِدَّة صُحفٍ سوريّةٍ. توقَّفَ عملُه الصَّحفيُّ, قبلَ اندلاع الثورة السُّورية في آذار عامَ ٢٠١١، بسبب ضغوط النِّظام. شارك في الحراكِ الشعبيّ والمظاهرات في حمصَ وفي دمشقَ ضدَّ حكم الأسد. غادر سوريّةَ هرباً من الأجهزة الأمنيَّة إلى بيروتَ عام ٢٠١٢، وهناك عملَ في الصَّحافة بأسماءَ مُستَعَارةٍ خشيةَ ملاحقته. وفي نهاية عامِ ٢٠١٢ استقرَّ في الإمارات العربيَّة المتَّحدة، وعمل محرّراً في الموقع الإلكترونيّ لقناة أورينت. وهو الآن يتولّى سكرتير التَّحرير. يكتبُ النثرَ والقِصصَ القصيرَةَ، وقد نالَ عِدَّةَ جوائزَ شبابيَّةٍ في هذا المِضمَار.

مجموعةُ أقلامٍ

رجلٌ نحيلٌ طويلُ القامةِ أسمرُ، رأسه يقطُرُ عرقاً، كما لو أنه في معركةٍ، أنفُه كبيرٌ، عيناه صغيرتان، لِحيتُهُ بيضاءُ خفيفة.. كلَّ يومٍ بعد منتصف الليل، وبتوقيتٍ محدّد، ما بينَ الساعة الثالثة والرابعة صباحاً، يفتح بابَ بيته بحرصٍ شديد، يقتربُ خطوتَين، يلتفت يميناً وشمالاً، ومن ثمَّ يعود ويحملُ وسادةً من الداخل ويخرج مسرعاً، لا أعرف إلى أينَ يتجه، ولماذا؟!

بعد ساعةٍ من الزمن يعود بعكس ما خرج به، يداه في جيبه وبخطىً بطيئةٍ ورأسُه مُتدَلٍّ كالسلحفاة، وأنا من شبَّاك غرفتي أراقبُه...

كذلك في اليوم التالي: فتح بابَ بيته بحرصٍ شديدٍ، وفعلَ كما فعلَ في المرَّة الماضية، وعاد كما لو أنه عائدٌ من جنازة!

ما يتكرَّرُ أمامي يثيرُ فضولي جداً: إلى أين يذهب هذا الرجلُ؟ وماذا يفعل طوالَ هذا الوقت؟ لقد خرج بِوِسَادتَين... لا، لا أفهم شيئاً!

قرَّرتُ في اليوم التالي أن

قِصَّة بلال كنج

ألحقَ به وأرى ماذا يفعل مهما كلَّفَ الأمرُ، كما هو المعتادُ في اليوم الآخر انتظرتُه حتى فتح بابَه، وبعد أنِ اطمئنَّ من خلوِّ الشارع، حملَ وسادتَه من الداخل وراح يركض... بدأتُ اللحاقَ به متخفيّاً، دخل حاراتٍ عدَّةً وخرج منها، ومن ثمَّ دخل بستاناً وتوقَّف بجانب شجرةِ لوزٍ كبيرة، وضع الوسادةَ على الأرض وراح يحفُرُ، وبعدما انتهى من الحفر وضعَ وسادتَه داخلَ الحُفرة وطمَرَها، ونفضَ يدَيه وغادر المكانَ بالطريقة نفسِها.. لم أفهمْ شيئاً من كلِّ ما قام به!

بعدما غادر الرجلُ المكانَ بقيتُ واقفاً متردّداً مكاني، تقدمتُ باتجاه الحُفرةِ حتى أستكشفَ أمرَه، وبعد تردُّدٍ بدأت الحَفرَ، كان الترابُ يغطي مساحةً لا بأسَ بها من الوسادة، حاولتُ أن أُخرجَ الوسادة بيدٍ واحدة، كونَها لا تحتاج للقوَّة، لكن كانت ثقيلةً بعضَ الشيء؛ انتزعتُها بِكِلتَا يديَّ وشددتُّها بقوَّة, وإذ بطفلٍ صغيرٍ يسقطُ منها!

- يا ربِّي طفل؟!

أخرجتُ الوسادةَ الأخرى, وإذ بطفلٍ آخرَ!!

علمتُ أنَّ الرجلَ لا يريدُ فضحَ أمره، فقمتُ باسترجاع كلِّ شيءٍ مكانَه، ومن هَولِ الموقف لم أستطعِ المشيَ، وضعت يدَيَّ في جيبي وطرقتُ رأسي في الأرض، ورحت أمشي ببطءٍ وأفكّر: يا إلهي ما هذا؟ بهذه البساطة يُودِعُ الرجلُ أطفالَه، من المؤكَّد أنَّهم ماتوا في إحدى القذائف، لكن لماذا يدفنُهم سرّاً؟

بينما كنت أمشي، وصلتُ مَبهُوراً بما شاهدته، حينها سمعتُ صوتَ بابه يُفتَح. ولكي لا يراني اختبأتُ خلفَ عامودٍ قريبٍ منه، خرج الرجلُ، نظر يميناً وشمالاً كعادته، ومن ثمَّ عاد. وأنا أنتظر خروجه بوسادةٍ أخرى، لا شكَّ أنَّ جميعَ أطفاله ماتوا، يا تُرى كم من طفلٍ بقي لديه؟ آملُ أن يكونَ هذا آخرَ طفل!

ما هي إلا دقائقُ حتى خرج الرجل مسرعاً تاركاً الباب مفتوحاً خلفهُ، لكنْ هذه المرَّةَ لم يحملْ وسادة، بل حملَ فراشاً، حينَها لم أعرفْ ماذا أفعل؟.. قرَّرت أن أدخلَ بيته...

فُضولي لم يمنعني أبداً، ما إن دخلتُ ونظرتُ حولي، لم أرَ سوى جدرانٍ غطّتها الرسوماتُ: جدارٌ مرسومٌ عليه مدافئُ كثيرة، وجدارٌ آخرُ مرسومٌ عليه حطبٌ، وجدارٌ آخرُ مرسومٌ عليه خطوطٌ حمراءُ تشبه ناراً تلتهب.. كان منزله فارغاً من كلِّ شيء، عدا هذه اللوحات، لاشكَّ أنَّ البردَ أكل كلَّ شيء هنا، حتى زوجتَه صاحبةَ الفراش؟!

لا أعرف لماذا كنت خائفاً من الخروج من بيته؟

فتحت البابَ بحذرٍ شديدٍ ونظرت يميناً وشمالاً، كما كان يفعل الرجل؛ وبعفويّةٍ رجعتُ للخلف آملاً أن أجدَ شيئاً أحمله، لكن نظرت كثيراً ولم أجد سوى مجموعة أقلام، حملتُها وخرجتُ مسرعاً...

الفنُّ الشعبيُّ
الثوريُّ في مُوَاجهة القَمع

إياد الدمشقي

حينَ نأتي على ذِكرِ الفنِّ الشعبيِّ يتبادرُ إلى الذهنِ، وبصورةٍ تلقائيةٍ، تاريخٌ طويلٌ وحافِلٌ بالابتكار، غنيٌّ بتفاصيلَ حياتيةٍ غايةٍ في الروعة والبهاء. كما وترتسمُ في الذاكرة وتتداخل سلسلةٌ لا حصرَ لها، بداية ونهاية، لنماذجَ إبداعية قدّمت الحياة بوسيلة مسْتَسَاغةٍ يألفُها الجميع، وتنوعت حتى شملَتْ ضروبَ الفنِّ كافّة: من تصويرٍ ونحتٍ وحفرٍ إلى مسرحٍ وشعرٍ وحكايةٍ ورقصٍ وغناء...

ولمَّا كان إنتاجُ هذا الفنِّ الأصيلِ مرتبطاً بالأساس بالعوامل التي توجد في بيئته الحاضنة من تنشئةٍ اجتماعيّةٍ وتربويّةٍ وتعليمٍ وظروفِ عملٍ وقيمٍ واتجاهاتٍ ثقافيّةٍ واجتماعيّةٍ ودينيةٍ ومَدنيّةٍ وعاداتٍ وتقاليدَ جاريةٍ ومتوارثة، فإنَّ تحوُّلَها أو تطوُّرَها مرتبطٌ بتحوُّلِ هذه العوامل وتطورِها، فأيُّ تغييرٍ يؤدِّي بالضرورة إلى تحوُّلِ الإدراك لدى أفراد المجتمع، وتالياً يعطيهم مرونةً في ابتكار علاقاتٍ جديدةٍ كُليّاً ـ شكلاً ومضموناً ـ أو جزئيّاً، تُصاغُ بينَ عناصرَ منفصلةٍ موجودةٍ من قبل، أو يجري تعديلُها وتحسينُها دونَ المَساسِ بأصالتِها وفائدتِها.

وبالعموم يؤدِّي إلى إفرازاتٍ مبتَكرةٍ تعبّر بطريقةٍ جديدةٍ غيرِ مألوفةٍ عن حال المجتمع ومزاج أفراده، تُطرَح بأسلوبٍ فطريٍّ عفويٍّ مميَّز يأتي معبّراً أبلغَ تعبيرٍ وأبسطه عن مشاعرِهم وآرائِهم، وخصوصيّتِهم المتَداولة جيلاً بعد جيل.

إذا ما انتقلنا إلى واقعِ الفنِّ الشعبيِّ في مجتمعٍ كالمجتمع السُّوريِّ العريق والغنيّ بفلكلوره وموروثه الإبداعيّ، وإذا ما أمعنَّا النظرَ في مآل هذا الموروث بعد الهزّة الكبيرة التي عصفت بالمجتمع وبيئته الحاضنة, ندركُ مدى تفاعلِ هذا الموروث مع تَحوُّلات وتطوّرات ما تشهده السَّاحة. فقد أدَّت هذه الهزّةُ العاصِفةُ إلى خلقِ مناخٍ إبداعيٍّ جديدٍ تكاملَ فيه المزاجُ النفسيُّ العامُّ مع حالة المجتمع الثوريّة، في مواجهة قمعِ السلطةِ الحاكمة.. هذا القمعُ الوحشيُّ بكلِّ صُوَرِه وأشكاله عمِلَ على تحفيز النشاط اللاشعوريِّ للعقل وفجَّرَ القدراتِ الإبداعيةَ الكامنةَ لدى أفراد المجتمعِ، وأفرزَ ـ بعد ذلك ـ وسائلَ مبتكرةً للصمودِ، وصنعَ الحياةَ من خلالِ الفن.

وخلالَ الثورةِ صُبغ هذا الموروث

بثقافة عالية، ذلك أنَّ الثوراتِ تأتي عادةً مُثقَلةً باتجاهاتٍ ثقافيةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ مكثفة. كما تفاعلَ السياسيُّ بالاجتماعيّ وِفقَ حالةٍ من التأثيرِ الجماعيّ، وأتى فنُّ المرحلة الثورية منسجماً مع روحِ ووجدانِ المجتمع ـ كما حال الفنُّ الشعبيُّ تاريخياً ـ متماشياً مع تطلعاتِه للحرية وهمّه وذائقته، مستفيداً من موروثِه دونَ المَساسِ بأصالته. وكان التوجُّهُ فرديّاً وجماعياً، كلٌّ حسبَ معطياته ومفرداته الخاصَّة والعامة، والتي جرى توظيفُها فنيّاً وممارستها بتلقائيّة، وإرادة تنامَى وعيُها وصُقل جهدُها مع استمرار المواجهة.

كما أنَّ التسهيلاتِ التي وفَّرتها وسائلُ التواصل الاجتماعيّ الحديثةُ جعلت تناقُلَ هذا الوعي ونِتاجَه الفنيَّ والتفاعلَ معه وتعزيزَه بسرعةٍ أمراً ممكِناً بين أوساط المجتمع الواحد، الذي قُطعت أوصالُه، ومن ثمَّ تجاوز المحليّ باتجاه الإقليميّ والعالميّ، حيث حقّق هذا النتاجُ حضورَه اللّافتَ من ناحية أهمّيته كمنتجٍ فنيٍّ له رسائلُه العميقة المعبّرة. وكمثالٍ على ذلك فإن «لوحات كفرنبل» ـ هذه المدينة الرمز ـ شكّلت عنواناً بارزاً لتكافل العمل الجماعيّ، ما نتجَ عنه لوحاتٌ فنيّةٌ غايةٌ في البساطة، مع بلاغةٍ لغويةٍ أتتْ عميقةَ المدلول والأثَر، حيث جمعت الشعبيَّ بالكاريكاتور، ثم أضافت قِيمَها الخاصَّةَ وفرادَتها اللغوية باعتمادها النصَّ المكتوب، أيْ أنَّها جمعت أجزاء منفصلةً، تكاملت عبرَ الأسلوب المتين في الطّرح. وحرصَتْ غالباً على الابتعادِ عن الإسقاطات الأيديولوجيّة المرتبطة حتماً بمعادلاتِ السلطاتِ المحليّةِ والإقليميّةِ والدوليّةِ لصالح الانخراطِ والتماهي مع تطلعاتِ الشعبِ ورؤيتِه السّياسيّة والاجتماعيّة، وكلّ تفاصيلِ معاناتِه المعيشيّة اليوميّة. كما اعتمدت النقدَ السَّاخِرَ متحدّيةً به كلَّ ما تفوَّهَ به المنافقون دولياً وإقليمياً ومحلياً حولَ الحقوقِ والمحرَّمات...

إنَّ وحدةَ العناصر التأليفية في «لوحات كفرنبل» وإخراجاتها النهائية, وطريقة تقديمِها بهذه البلاغة والبساطةِ المحبَّبة، تجعلُ الناظرَ إليها يمتلئُ شغفاً ورغبةً في معرفةِ أيَّة حقيقة تقفُ وراءَها، وأيَّةِ ظروفٍ أخرجتها لتكونَ بهذا الألقِ المحليّ العالميّ، وموضع ترقب ينتظرُها القاصِي والدانِي. وتنتظرُها أيضاً الصُّحفُ والمجلاتُ، حتى العالميّةُ منها لتتحدَّثَ عن جديدِها، وترفعَها أيادٍ كثيرةً حتى خارجَ حدودِها. وللتدليل على أصالة مُنتَج كفرنبل وأحرارِها، وعدمِ أصالة، بل فراغ الجهة المقابلة، أي السلطةُ وأبواقُها ومريدُوها، نذكر تلكَ اللوحةَ التي يظهر فيها علمُ الثورة يخيطُ ما يقصُّه علمُ النظام على خريطة سورية.. سَرق المُوَالون فكرة اللوحة، ثم أعادوا نشرَها بعدَ تبديل مكان العلمَين!

كذلك الحالُ مع أغنية الشهيد القاشوش الشهيرة «يا لله ارحل يا بشار» التي صدَحتْ بها حنجرتُه لأولِ مرةً في ساحةِ حماة، والتي استطاعت بفضلِ أصالتِها وعمقِ مدلولِها أنْ تنتَشِرَ بسرعةٍ بينَ المدنِ السوريّة حتى أصبحَ لكلِّ مدينةٍ قاشوشُها، وتالياً رُدِّدَتْ في أكثر من ساحةٍ عربيةٍ مع بعضِ التعديلِ في الكلماتِ بما يتلاءَمُ وواقعَ كلِّ دولة، ولاحقاً سمعنا أناساً غربيّينَ يردِّدُونها بلكنةٍ عربيّة مكسَّرة.. هذه الأغنيةُ وبفضلِ تماشيها مع همومِ المجتمعِ وبساطةِ أدائِها وأصالتِها استطاعتْ أن تصلَ إلى العالمية. وكانَ لها نصيبُها من السرقة أيضاً من قِبَلِ المُوَالِين، حيث جرى تحريفُ كلماتِها بما يتماشَى مع عقولهمُ المريضة!

إنَّ التحوُّلَ الذي يصيبُ الفنَّ الشعبيَّ, كما ذكرنا سابقاً، بدى واضحاً وبصورةٍ جليّةٍ في فنّ الغناءِ الذي اعتمدَ بنسبةٍ كبيرةٍ منه على أغانٍ تراثية فلكلورية، والأمثلةُ على ذلك كثيرة. كما بدا واضحاً أيضاً في المسرح الذي اشتقَّ في جوانبَ كثيرةٍ منه ونهلَ من مسرحِ خيالِ الظلِّ ومسرح العرائس،

سيَّما أسلوبُ التشخيص فيهما.
وكمثالٍ على ذلك فرقة «مصَّاصة متة»، ومن أعمالها المهمّة «يوميات ديكتاتور». ومسرح «حي الخالدية» بحمص الذي أضاف أسلوباً جميلاً اعتمد الفكاهةَ والسخريةَ اللاذعةَ كنهجٍ صارمٍ في المواجهة.
وارتكازاً على (كاركتير) الحكواتي الشعبي بُنيَتْ شخصيّة «حكواتي الثورة»، لكنه طلَّ علينا هذه المرةَ عبرَ شاشةِ التلفاز. ولم يَفت الثوار طقوس العراضة الشاميّة والحمصيّة والحلبيّة وغيرها التي تخللت المظاهراتِ السلميَّة، وأغنت يوميّاتِها مع باقي مظاهرِ التفاعلِ الثوريّ بالحدث. كما حقّقَ الشّعرُ الخطابيُّ باللهجة المحكيَّةِ المتأصّل في البيئة والمجتمع إنجازاتٍ كبيرةً كان منها قصيدة «معليش درعا معليش» لشاعر حوران واثق الصمادي، وغيرها الكثير من الأشعار، التي قدّمت نقداً بنّاءً لواقعِ مرحلتِها المريرِ وسُخريَةِ القدر.
وانتهجتِ الرسومُ الشعبيةُ ورسومُ الجدرانِ نهجاً جديداً ـ شكلاً ومضموناً ـ لامسَ الحداثةَ متماشياً معها (كرتونة دير الزور، حيطان سراقب...). كذلك شهدَ النَّحتُ تبدُّلاً جَذريّاً على صعيدِ الموضوع، فنَحَّاتُو الخشبِ الحِرفيّون تحوَّلوا من نحتِ الجَملِ والفيلِ والحِصان (موضوعاتُهم الأبرَز قبلَ الثورة)،

إلى نحتِ الدَّبَّابة والصّاروخ والطائرةِ الحربيّة، وكلّ ما يُدلِّل على الحربِ المعلَنَة عليهم. وانتقلَ الحدَّادون الحرفيّون، ممّن عملوا في زخرفةِ الحواجز المعدنيّة قبلَ الثورة، إلى لمْلَمَةِ شظايا وبقايا الصواريخِ والرَّصاصِ وقذائفِ الهاون والمِدفعية المُلقَاة عليهم، فجمعوا الأجزاءَ باستخدام اللحامِ الكهربائي، لتكونَ تحفاً ليست للزّينةِ بقدْرِ ماهي تحدٍّ للقاتِل وقهره.
أمّا اللافِتاتُ التي رُفعَت، وتُرفَعُ معَ استمرارِ الثورة (الزبداني، عامودا، إنخل... وكل مدن وقرى سورية)، فهي أيضاً جزءٌ من حالةٍ ثقافيّةٍ فنيّةٍ عامَّةٍ اقتضتْها الثورة. وكما حقَّقَ الفنُّ الشعبيُّ على مدى قرونٍ انسجاماً وتناغُماً بينَ الدولِ العربيَّة التي شهدت مجتمعاتُها ثوراتٍ، كذلك فإنَّ فنَّ هذه الثوراتِ حقّقَ تناغُماً وتعاوُناً بينَ مختلفِ الأقطار، وكانتِ اللافتاتُ وجههُ الأبرز.

قائمةُ الفنونِ التي أفرزتْها الثورةُ طويلةٌ جداً ومتشعِّبة، ولا يتَّسعُ لها صدرُ مقالٍ عابرٍ كي يفِيَها حقَّها، وتحتاجُ إلى جهدٍ أمينٍ يعملُ على أرشَفَتِها وضمِّها في مجلداتٍ تليقُ بها، لتكونَ مرجِعاً لنا وللأجيال اللّاحقة. ومع تشعُّبها أتتْ أيضاً غنيةً بموضوعاتٍ تنوَّعت حتى شمِلَت أدقَّ تفاصيلِ المجتمعِ وما يعانيه ويعايِشُه على جميعِ الأصعدة، ذلكَ لارتباطِ الشعبيّ - الثوريّ مباشرةً بالحَدَث، بل إنَّ الحَدثَ وارتباطاته هو حامِلُه وحاضنتُه.
ونُنَوِّهُ هنا إلى أنَّ هذا تحديداً ما أدَّى إلى استشراسِ السلطةِ الحاكمة في مُلاحقة القائمينَ عليه، فكانوا ولا زالوا هدفَها الأوَّلَ، وليسَ الأخيرَ لما يشكِّلونَه من تهديدٍ مباشرٍ لوهمِ استقرارها وزيفِها، ودفعوا لهذا أثماناً باهظةً موتاً وتعذيباً وتشريداً... الثورةُ وفنونُها مستمِرَّانِ، ربَّما يخبُو نموذجٌ فنيٌّ ليظهرَ آخرُ، وهكذا حسبَ الواقعِ المُعاشِ والظروفِ المحيطة بالفنَّانين وعامَّةِ الشعبِ بكلِّ تفاصيلِ حياتِهمُ اليوميَّةِ ومآسيها، وضياع حقوقِهم المدنية والسياسية والثقافية.. وكلُّها نماذجُ تعبّرُ عن عزيمةٍ وإرادةٍ حقيقيّةٍ في صُنعِ الحياةِ من الموتِ والدَّمار، ورغبةٍ شديدةٍ وعميقةٍ في قهرِ الطُّغيان.

أقوال

الثورةُ ليست أكلاً وشراباً بل هي الحريَّة.

أحمد الحفناوي ـ صاحب مقولة «هرمنا»

الثورةُ لم تبدأ بعدُ، الثورةُ هي ثَورةُ العقول.

نوال السعداوي

إنَّ المجتمعَ العاجزَ عن التديُّن، هو أيضاً عاجزٌ عن الثورة.

علي عزت بيجوفيتش

مِنَ المستحيل أن يكونَ لدينا ثورةٌ خاليةٌ من بعض الجرائم، ولكنَّ هذا لا يجعلُ الثورةَ جريمة.

خوسيه بيرجامن

لم يسبِقْ أن تمَّ تغييرٌ حقيقيٌّ في المجتمع بدون قيام ثورةٍ، الثورةُ هي التي حوَّلتهُ من مرحلةِ التفكير إلى مرحلةِ التنفيذ.

إيما جولدمان

عندما تكون الديكتاتوريَّة واقعاً، ستصبحُ الثورةُ حقاً مشروعاً.

فيكتور هوغو

الثورة قويَّةٌ كالفولاذِ، حمراءُ كالجَمرِ، باقيةٌ كالسنديان، عميقةٌ كحُبِّنا القاتلِ للوطن!

تشي جيفارا

الثورةُ ليست طريقاً مفروشاً بالورد، وهي صراعٌ حتى الموت بينَ الماضي والمستقبل..

فيدل كاسترو

الفقرُ لا يصنعُ ثورةً، وإنما وَعيُ الفقرِ هو الذي يصنع الثورة.. الطاغية مُهمَّتُه أن يجعلك فقيراً، وشيخُ الطاغية مُهمَّتُه أن يجعلَ وعيَكَ غائباً.

كارل ماركس

تأتي الثورةُ فجأةً، وبطريقةٍ مختَلفةٍ عن ما كنَّا نتوقَّع.

هيرمان جورتر

يمكِنُك أن تَسجُنَ الثائرَ، ولكن ليس بِمَقدورِك سَجْنُ الثورة.

هيوي نيوتن

الثورةُ دائماً ما تكون في أيدي الشباب، لأنَّهم وَرَثَةُ الثورة.

هيوي نيوتن

القمعُ والظلمُ هي بُذورُ الثورة.

ودرو ويلسون

لا يستطيعُ أحدٌ أن يهبَ لك الحريَّةَ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يمنحَكَ العَدلَ أو المساواةَ أو أيَّ شيءٍ آخرَ, فإن كنت رجلاً فعليك أن تأخذَها بنفسك.

مالكوم إكس

«أنا مع بلدي، مُصيبةً كانت أم مُخطِئةً» – جملةٌ لن يُقْدِمَ أيُّ وطنيّ على التَّفَوُّهِ بها إلا في حالة اليأس. فهي كقَولِ المرء: «أنا مع أمّي، سكرانةً كانت أم صاحية!»

جلبرت تشيستيرتين

لوحة «كفر جنّة»
لفاتح المدرس

بقلم محمود مكي

لوحةُ «كفر جنّة» هي مِن أشهر لوحاتِ الرَّاحل فاتح المدرس على صعيدِ الفنّ التشكيليّ السوريّ، حيث رسمَها عامَ ١٩٥٢ وعرضَها في ثاني معرضٍ جماعيٍّ بصالةِ المتحف الوطنيّ، الذي ضمَّ أكبر عددٍ من الفنانين السُّوريّين الأوائل, حين كانت حركةُ الفنّ التشكيليّ السوريّ في بداية تأسيسها، وتدفعها إلى الأمام مجموعةٌ كبيرةٌ من رُوَّاد الفنّ التشكيليّ الواقعيّين والانطباعيّين, على رأسهم الفنانان غالب سالم ووهبي الحريري من حلب، وتوفيق طارق ورشاد قصيباتي وسعيد تحسين من دمشق. كان الفنَّانُ الرائدُ وهبي الحريري هو الأستاذَ الأوَّلَ لفاتح المدرس، إذ شجَّعه على مُواصلة طريقِه وتحصيله العلميّ في الفنّ التشكيليّ...

لوحةُ «كفر جنة» رسمَها في بداية عام ١٩٥٢ (بقياس ٥٠ - ٧٠ سم) بألوانٍ زيتيّةٍ على قماشٍ عاديّ. عرضها في معرَضِ الخريف الثاني العامّ الذي ضمَّ فنانِي سورية الأوائل، وحازت لوحتُه على الجائزة الأولى، وقد اقْتَناها المتحفُ الوطنيُّ بدمشق. لوحةُ «كفر جنَّة» تمثلُ منظراً ريفيّاً طبيعيّاً لما اختزنتْهُ ذاكرته عن طفولته الأولى في قرية حريتا، التي وُلِدَ فيها وكانت ملكاً لأسرته الإقطاعيّة آل المدرس. اللوحة كمنظرٍ تبدو عاديَّةً بألوانها وأشكالها, ولكنَّ الذي ميَّزَها هو ذلك الأسلوبُ الفنيُّ والتقنيةُ الجديدةُ التي رسمها فاتح المدرس. وهي التي فتحت البابَ على مِصراعَيه لِوُلوجِ أساليب الفنّ الحديث في الذائقةِ البصريَّةِ السوريّة..

اللوحة تمثل امرأةً تتوسَّط اللوحة، لا يظهر فيها أيُّ شيءٍ من معالمها التي تماهت مع مساحات الألوان، وحاملةً على رأسها طبقَ القشّ، منطلقةً إلى عملها في الحقل المجاور، محاوِلَةً مساعدةَ زوجِها في الحياة.. هي عبارةٌ عن شكلٍ إنسانيٍّ امتزجت فيه معالمُ الوجه والجسد مع ضرَبَات الرّيشة العريضة السّريعة والنّزقة مع باقي مساحات اللون وتأثيرات ضَوء الشمس.

ونرى إلى طرَفِ اللوحة، في الجانبِ الأيمنِ منها, شجرةً ضخمةً باسِقةً ترتفع إلى عَنان السّماءِ بألوانها الخضراء، وقد أخذ شكلُها الجميلُ أكبرَ مساحةٍ من اللوحة، مُنطلقةً من جُذوعها بقوّةٍ إلى الفضاء لتَتَقارب مع نور الشمس في وحدةٍ تلاحُميَّةٍ جميلةٍ في آخر خطّ الأفق البعيد عنها، وضمن ضرباتِ ريشةٍ سريعةٍ مُتَماهيةٍ مع باقي المساحات اللونيَّة الأخرى. ونرى في نهاية اللوحة - أيضاً - آثاراً لامرأةٍ أخرى مُسرعةِ الخُطى، وكأنَّها تلاحِقُ المرأة الأولى التي توازي خطَّ جذع الشجرة، ومنطلقةً معها للأعلى..

كذلك هناك في اللوحة مساحةٌ واسعةٌ للسَّماءِ وضمن خطوطٍ لونيَّةٍ طوليَّةٍ من مشتقَّات الأزرق بجماله اللونيّ، تنطلق مع الشجرة والمرأة إلى الأعلى، متحدِّين بقوَّةٍ الجاذبيةَ الأرضية... اللوحة عَمِلَها فاتحُ المدرس بأساليبِ وتقنيات المدرسة الواقعيَّة التأثيريَّة، ومزَجها بجماليّةٍ توافقيّةٍ خاصَّةٍ مع مفاهيم المدرسة التجريديَّة الحديثة، التي سادَت وانتشرت في الفنّ العالميّ بداية الخمسينات من القرن العشرين، وضمن رؤيته الفكرية المعبّرة جداً من خلال وضوح الفكرة مع الرؤية الجماليّة الجديدة في الفنّ التشكيليّ السوريّ. وهذا يظهر واضحاً من خلال اللمَسَات اللونيَّة الكثيفة التي تنكشف في المساحات اللونيَّة الكبيرة. إنَّ الحالةَ الانفعاليةَ التي رسَمَ بها الفنانُ فاتح المدرس هذه اللوحة الرائعة اكتسبت بتصميمها الكليّ الحالةَ المأساويّة التي تعيشها المرأةُ الريفيّة المقيَّدةُ بقيود الذكورة! بهذه اللوحةِ الجميلة بدأت الحركةُ التشكيليَّةُ السوريَّةُ مرحلةً جديدةً من مراحِلِها في الحداثة الفنيَّة على مضمار الذائقة البصريَّة المحليَّة...

فاتح المدرس (١٩٢٢- ١٩٩٩): رسام سوري ولد في محافظة حلب. يعد أحد قادة الحركة الفنية الحديثة. درس في أكاديمية الفنون بروما، وتأثر بالحركة السريالية.

وراء الكواليس

مفارقة أسماء الأسد

اِستقبلتْ أسماء الأسد أمَّهاتِ جَرحَى جيشِ زوجِها المُجرم بمناسبة عيد الأمّ ٢٠١٥، وكرَّمتْهنَّ قائلةً: «جرحانا مدرسةٌ بالقوَّةِ والتّحدّي والحياة، وأنتُنَّ أمَّهاتٌ ربَّيتُنَّ أبطالاً وبطلاتٍ ما استسلموا مَرّتَين، لا بالمعركة ولا بالحياة». فيما لم تَرَ هذه العمياءُ الصّفيقة ما يفعله زوجُها من قتلٍ وقصفٍ وتشريدٍ للأمَّهات السُّوريَّات الأُخرَيَات!

جامعة حلب تكرم الشبيح محمد سعيد

في ١٩ شباط ٢٠١٥ كرَّمت جامعةُ حلبَ القنواتِ الفضائيَّةَ التي ساهمَت في دعم الإعلام التشبيحيّ؛ فقد تمَّ تسليمُ درع قناة RT «روسيا اليوم» إلى محمد السعيد ـ قائد «لواء القدس» الفلسطيني ـ الذي يقاتِل مع جيش الأسد ومرتزَقتِه الشيعة، وذلك لتعاونه مع المراسلِين الحربيّين للقناة في مدينة حلبَ وريفها، وتقديمِه المساعدةَ والحمايةَ اللّازمةَ لهم. في حين سحبَ مجلسُ جامعةِ حلبَ شهادةَ الدكتوراه الفخريَّةَ في العلاقات الدولية التي منَحَها، في مراسم أكاديميّة يوم ٢٢ تموز ٢٠٠٩، لرئيس حكومةِ حزبِ العدالة والتنمية في تركيا رجب طيب أردوغان!

المُنقِذةُ دعاء السُّوريّة

منحت أكاديميّةُ أثينا اليونانية جائزةً رمزيّةً (ثلاثة آلاف يورو) إلى الشابَّةِ السُّوريّة دعاء الزامل، وذلك على «البطولة والمثابرة» اللتَين أبدَتْهما، حين ظلّت تحمِلُ بين ذراعَيها طفلةً رضيعةً تبلُغُ من العمر ١٧ شهراً على مدى ثلاثة أيامٍ في البحر المتوسّط، لدى غرَقِ مركبهم أواخرَ شهر أيلول ٢٠١٤، في حادثٍ أودَى بحياة ٥٠٠ مهاجرٍ غير شرعيّ؛ حيث لم ينجُ من تلكَ المأساة سِوى عشرةُ أشخاصٍ، وهو من أسوأ حوادث الغرق المشابِهة التي سُجِّلت في السَّنوَات العشرِ الماضية. حين وقع الحادِثُ المأساويُّ طلبت والدةُ الطفلة الرَّضِيعة من دعاء، التي كانت تحمِلُ معها سترةَ إنقاذ، أن تحملَ طفلتها وتنقِذَها معها، أمَّا الأمُّ نفسُها وزوجُها فغرِقَا بعد ذلكَ!

البحَّارةُ المسلِمُونَ هم مَنِ اكتشفوا أمريكا

ألقى الرَّئيسُ التُّركيُّ رجب طيّب أردوغان كلمةً أمامَ تجمُّعٍ لِمُسلِمِي أمريكا اللاتينية في اسطنبول (١٥ تشرين الثاني ٢٠١٤) قال فيها: هناك مزاعمُ بأنَّ القارَّةَ الأمريكيّة قد اكتُشفت عام ١٤٩٢، لكنَّ الحقيقة أنَّ البحَّارةَ المسلِمِينَ قد وصلوها قبل ٣١٤ عاماً مِن وصول كولومبس، أي بتاريخ ١١٧٨. ففي مذكّراته، يذكر كولومبس وجود مسجدٍ على قمَّة تلّةٍ على السَّاحل الكوبيّ.

نشر الكاتبُ الصّحفيُّ أوري إيجين على التويتر، ما يُعتَقد أنّه مصدرُ التصريح الذي اعتمد عليه أردوغان: يبدو أنَّ أردوغان يعتقد بأنَّ كولومبس قد شاهد مسجداً في كوبا.. في حين غرَّد الكاتب عبد الرحمن ديليباك على نفس الموقع، داعماً استنتاجَ الرئيس التركي، بعد يومَين من تصريحه، قائلاً: «قبل أنْ تطأ أرجل كولومبس أرضَ الولايات المتحدة، كان هناك عروسٌ هنديّةٌ في اسطنبول!». عبد الرحمن ديليباك كان قد أصدر عام ١٩٨٤ كتاباً بعنوان Coğrafi Keşiflerin İçyüzü «حقيقة الاكتشافات الجغرافية»، ولاقى إقبالاً من بعض الأوساط الأدبيَّة الإسلاميّة في حينه. هنا يكتب رائدُ الفضاء الأمريكيُّ نيل أرمسترونج في مذكراته: «حين هبطْنَا على سطح القمر، رأينا أنقاضَ مبنى رائعٍ. باز ألدرين وأنا كنا مندهشَين لدى اقترابنا منه. كان مبنىً صغيراً، عبارةً عن مسجدٍ عثمانيٍّ بُنيَ ببراعةٍ وإتقان. عندما عُدنا إلى الأرض، أمرتْنا وكالة ناسا والحكومةُ الأمريكية بعدم الحديث عما رأيناه...».

المصريُّون يطارِدون أمل كلوني

قالت المحامية البريطانيّة أمل علم الدين ـ عارضةُ الأزياء اللبنانية الدرزيَّةُ الأصل، وزوجةُ النجم الهوليودي جورج كلوني ـ إنَّ السلطاتِ المصريَّةَ قد هدَّدتْها بالاعتقال، بعدما حدَّدت ثغراتٍ في النظام القضائيّ، ساهمت في إدانة ثلاثةِ صحافيّين يعملون لصالح قناة الجزيرة القطرية. وأضافت كلوني، التي أصبحت محاميةَ أحدِ الصحافيّين الثلاثة، أيضاً: «سألوا إذا كان التقريرُ ينتقِدُ الجيشَ أو القضاءَ أو الحكومة؟ وكان ردُّنا بالإيجاب، فقالوا إنكم تواجهون خطرَ الاعتقال». يُذكر أنَّ كلوني قد شاركت في إعداد تقريرٍ للّجنة الدوليّة للمحامِين في شباط ٢٠١٤ أثارَ أسئلةً حول استقلالية القُضاة والمُدَّعِين العامّين المصريّين. ويستند التقرير إلى لجنة تقصّي الحقائق في منتصَف عام ٢٠١٣، التي حذَّرت من السلطات الواسعة التي يملِكُها الوزراءُ على القُضاة، ويسلِّطُ الضوءَ على سلسلة محاكماتٍ انتقائيّة.

الأميرةُ أوباما

حاول لاعبُو الدّوريّ الأمريكيّ لكرة القدَم عام ٢٠١٣، وضعَ خُوذةٍ على رأس الرَّئيس الأمريكيّ باراك أوباما في حفلٍ أُقيمَ في البيت الأبيض، لكنه نجح حينَها بالتملُّص، مستنِداً إلى قانونٍ يمنع الرئيسَ من وضع الأشياء على رأسه، قائلا: «لا يمكنُكَ أن تبدو بشكلٍ جيّدٍ مع شيءٍ على رأسكَ». في الأيّام الأخيرة انتشرت صورةٌ جديدةٌ لأوباما على الشبكات الاجتماعية، عن طريق بيت سوزا ـ المصوّر الرسميّ للبيت الأبيض الذي يرافق أوباما بشكلٍ دائم ـ وقد تمَّ تصويرُها في معرضٍ للعلوم، أجريَ بالبيت الأبيض (صيف ٢٠١٤). ويظهر أوباما فيها واضعاً تاجاً على رأسه. وليس أيَّ تاجٍ، وإنما تاجٌ منَ النوع الذي تحبُّ الأميراتُ التباهيَ به في أفلام ديزني، وهو يبتسم ابتسامةً عريضةً بصُحبةِ خمسةِ تلميذاتٍ من الكشّافةِ المشاركات في المناسبة. يقول بيت سوزا: «إنّ الفتياتِ قد أقنعْنَ الرّئيسَ بوضع التاج من أجل التقاطِ صورةٍ جماعيّةٍ». يبدو أنّ أوباما قد خضع للضَّغطِ الاجتماعيّ الذي مارسَته فتياتُ الحركةِ الكشفية الصغيراتُ، ووافق على وضع ذلك الإكسِسُوار العصريّ من أجلهنَّ، بخلاف قراره الحاسم في العام السَّابق.

كواليس

مَن قتل المُدَّعي العامَّ الأرجنتينيّ؟

عثرتِ السلطاتُ الأرجنتينية على ألبرتو نيسمان ـ المدَّعِي العامّ الخاصّ ـ مقتولاً في بيته ببونيس آيرس (١٨ كانون الثاني ٢٠١٥). وكان من المفروض أن يعرض نيسمان خلال جلسةٍ خاصةٍ في الكونغرس الأرجنتينيّ روايته حول تواطؤ كريستينا فرنانديز دي كيرشنر ـ رئيسة الأرجنتين ـ مع الإيرانيّين في قضيّة الهجوم على كنيس يهودي في العاصمة عام ١٩٩٤، والذي أسفر عن مقتل ٨٥ شخصاً.

كان القضاءُ الأرجنتينيُّ قد اتَّهمَ إيران بتمويل العملية، رغم أنها أنكرت علاقتها بها. في حين اتَّهم نيسمان رئيسةَ الأرجنتين، بأنها أقامت قناةً سِرّيّةً مع إيرانيين مشتبهٍ بأنَّهم زرعوا قنبلة أدَّت إلى تفجير الكنيس. وقال إنها اتفقت مع الإيرانيين بالتَّستُّر على معلوماتٍ تربطهم بالعملية، مُقابلَ تصدير القمح إلى إيران، والحصول على نفطها!

ترتيبُ الدُّول المزدَهِرة عالميّاً

نشرت مجلّةُ الأعمال «فوربس» نهايةَ العام الفائِت نتائجَ بحثٍ قامَ به معهدُ البحث Legatum بخصوصِ قضيَّة الازدهار العالميّ. نتائجُ البحثِ الذي قارن بين دول العالم، هي عبارةٌ عن «دليلٍ» يقدِّرُ مستوى الثراءِ وجَودةَ الحياة للمواطنين في ١٤٢ دولةٍ حولَ العالم.

ينقسم هذا الدّليلُ إلى ثماني فئاتٍ مختلفة: الاقتصادُ، ريادةُ الأعمال، الحكم، التربية والتعليم، الصِّحة، الأمن، الحرّيّة الشخصيّة، والثروة الشخصية. وهناك أيضاً ٨٩ فئةً ضمن الفئات الثماني.

تصدَّرت القائمة: النرويج، وسويسرا، ونيوزيلاندا. بينما احتلت الولايات المتحدة المكانَ العاشِر، وإسرائيلُ المكانَ الـ ٣٨، مصر ـ ١١٦. أما آخرُ ثلاثِ دولٍ في القائمة، فهي: الكونغو، تشاد، جمهورية إفريقيا الوسطى.

سبعةُ ملايين دولارٍ لحبلِ مشنقَةِ صدَّام حسين

قالت صحيفة الإندبندنت البريطانية إنَّ الحبل الذي أُعدِمَ به الرئيسُ العراقيُّ الراحل صدَّام حسين ،معروضٌ للبيع في مزادٍ علنيٍّ مقابلَ سبعةِ ملايين دولارٍ، وهو الآن بحَوزةِ الوزير العراقيّ السَّابقِ موفَّق الربيعي الذي قاد صدامَ إلى إعدامه عام ٢٠٠٦، ويطمع فيهِ رجلُ أعمالٍ كويتيٌّ، وأسرةٌ إسرائيليةٌ ثريَّة، وبنكٌ ومؤسَّسةٌ إيرانيةٌ. كذلك يطالب بعض الناشطِين العراقيّين بإيداع ثمن الحبل في خزينة الدَّولة.

الإفراجُ عن الناشِطتَينِ الإيطاليَّتَين المختَطفتَين

نشرَتْ مجلتُنا «المرآة» في عددها الأوَّلِ (تشرينَ الثاني ٢٠١٤) مقالاً عن اختطاف الناشِطتَين الإيطاليَّتَين غريتا راميلي وفانيسا مارزولو في بلدة شمالَ مدينة حلبَ, وذلك منذ شهر آب الماضي.. بعدئذٍ ظهرتا نهايةَ كانون الأوّل من نفسِ العام محجَّبتَين وترتديان ملابسَ سوداء، في شريط فيديو دامَ ٢٣ ثانية, حيث لم تُعرَفِ المجموعة التي كانت تَحتجِز الشابَّتَين، ولم يظهر أحدٌ معهما في الشريط, فقد كانتا جالستَين أمامَ حائطٍ أبيضَ مظهِرتَين هُويَّتَهما، ودَعَت إحداهنَّ الحكومةَ الإيطاليَّة المساعَدةَ على إعادتِهما إلى البلاد قبلَ عيد الميلاد.

في ١٥ كانون الثاني ٢٠١٥ أعلنتِ الحكومةُ الإيطاليَّةُ أنَّ موظفتَي الإغاثة الإيطاليَّتَين المحتَجزتَين في سوريَّة قد أُفرِجَ عنهما. وقالت رئاسةُ مجلس الوزراء الإيطاليَّةُ على حسابها على تويتر: «أُفرِج عن غريتا راميلي وفانيسا مارزولو، وستعودان قريباً إلى إيطاليا».

رئيسُ القَات

نُشِرت صورةٌ قديمةٌ لمُحمَّد علي الحوثي على مواقع التَّواصل الاجتماعيّ، حيث يَظهر فيها مُفترِشاً أرضَ أحدِ الأسواق الشعبيَّة، وهو يلوّحُ بحزمة قات للبيع، وحولَه مجموعةٌ من الأشخاص يبيعون ويشترون تلك المادة المخدرة.

هذا الحوثيُّ هو رئيسُ ما يُعرَفُ بـ «اللجنة الثوريَّة» التَّابعة لجماعة «أنصار الله» الحوثيّة؛ التي أصبح مَنُوطاً بها تشكيلُ مجلسٍ انتقاليّ من ٥٥١ عضواً، والتصديقُ على انتخاب مجلسٍ رئاسيٍّ من خمسة أعضاء، لقيادة اليمن في مرحلةٍ انتقاليّة من عامَين، حسب إعلانٍ دستوريٍّ أصدرتْهُ الجماعة.

مَلِكَةُ جمالِ هتلر

في إحدى الشبكاتِ الاجتماعيَّة «VKontakt» التي توازي الفيس بوك في روسيا، افتتحت صفحةٌ تدعو الفتياتِ الجميلات، اللّاتي يصوّرنَ أنفسهنَّ بصُوَر سيلفي مع ملامح نازية، الاشتراكَ في مسابقاتِ الجمال تحت عنوان «Miss Ostland» ؛ وهي منطقةٌ روسيةٌ سيطرت عليها القوَّاتُ النازيّةُ في الحرب العالميَّةِ الثانيةِ. يجب على كلِّ مُتَنافسةٍ تطمح بالمشاركة في المسابقة أن تكونَ نازيّة، تكرهُ اليهودَ، منضمَّةً إلى جماعة الشبكة الاجتماعية لهتلر، ولا تسخرُ من صور الأُخرَيَات. ويُطلبُ إلى جانب كلِّ صورةٍ إضافةُ شرحٍ مقنعٍ لماذا «تعجب وتحب الرايخ الثالث لأدولف هتلر؟». المتنافسةُ التي ستحظى بأكبر عددٍ من الإعجابات (Like)، سيُعلَن عنها في نهاية الشتاء بأنها «Miss Ostland»؛ وستحصل على جواهرَ من شركة Magic Workshop التي كان يفضّلها رجالُ الإس. إس. (ss). أما المتنافسةُ التي ستحتَلُّ المرتبةَ الثانيةَ ستحظى بقلادَةٍ تجمع بين أشكال الصَّليب المعقوف مع إشاراتٍ نازيّة.

كواليس

فيلمُ «الخروج.. آلهةٌ وملوكٌ» يزوِّر التَّاريخ *

منعَتْ مِصرُ عَرْضَ فيلم «الخروج.. آلهة وملوك» للمخرجِ البريطانيِّ ريدلي سكوت الذي يروي قصَّةَ النبيّ ِموسى وخروجَ الشعبِ اليهوديّ من مِصرَ زمنَ الفراعنة، بسبب ما يتضمنُّه من تزييفٍ للتاريخ ـ حسبَما قال د. جابر عصفور وزيرُ الثقافة المصريُّ ـ معتبِراً أنَّ الفيلمَ يجعلُ النبيَّ موسى واليهودَ بُناةً للأهرام؛ وهو ما يتناقضُ مع الوقائِع التاريخيَّةِ الحقيقيَّة.

في حينِ قامَ المركزُ السِّينمائيُّ المغربيُّ بتوقيفِ عرضِ الفيلم في القاعات السينمائيَّةِ الوطنيَّة، التي كان بعضُها قد بدأ بعرضه وبَيعِ التّذاكر. وأصدرَ بياناً بهذا الشّأن، جاء فيه «إنَّ لجنةَ النظرِ في صلاحيات الأشرطة السّينماتوغرافيَّة لم تمنحْ تأشيرةَ عرض فيلم «الخروج.. آلهة وملوك»، بالإجماع، لكونِ الشريط يجسِّدُ الذاتَ الإلهيَّة، في شخصِ طفلٍ صغيرٍ أثناءَ نزولِ الوحي على النبيّ موسى عليه السَّلام، وأشار البيانُ إلى أنَّ هذا التجسيدَ باطلٌ وأنَّ اللهَ لا يُتمثَّلُ في جميع الأديان السماويَّة».

يروي الفيلمُ الهوليوديُّ الجديدُ ذو الميزانيَّة الضَّخمة «الخروج.. آلهة وملوك» قصَّةَ خروجِ الإسرائيليّين من مِصرَ زمنَ الفراعنة، ويطرَح مجدّداً السؤالَ المرتبطَ ببناء الأهرام المذهلة في بِلاد النيل؟

يجيبُ الفيلمُ على هذا السُّؤال مستنِداً إلى التوراة: بنو إسرائيلَ هم من بنوا الأهرامَ في ظروفِ عبوديةٍ وإكراهٍ. لكنَّ هذا الادِّعاءَ دَحَضَهُ معظَمُ علماءِ الآثارِ منذُ زمنٍ بعيد!

في ليلةِ التهيئة ـ الليلةُ الأهمُّ في الفصح اليهوديّ ـ يقرأ اليهودُ الروايةَ التقليدية حولَ الخروجِ من مِصرَ، حيث يرِدُ في «الهاجاداه»: «عبيداً كُنّا لفرعون في مِصر، وأخرجَنَا الربُّ إلهُنا من هناك بيدٍ قويّةٍ وذراعٍ ممدودة. ولو لَم يُخرِج القدُّوسُ آباءَنا من مِصر، لكُنّا لا نزال نحن وأبناؤنا وأحفادُنا عبيداً في مِصر...». كذلك تبنّتِ الذاكرةُ الشعبيَّة الغربيَّة هذه «الأسطورة» المغروسةَ عميقاً في التقليد اليهوديّ ـ المسيحيّ، فقد أدخلتها هوليود في عددٍ من أفلامها، مثل فيلم «الوصايا العشر» الذي نرى فيه عبيداً مُنهارين تحتَ الشّمسِ الحارقة وسِياط معاوني فِرعون!

تطوّرت هذه «الأسطورة» داخلَ الكيان الصّهيونيّ إثرَ الكلمة التي ألقاها رئيسُ الحكومة السابقُ مناحيم بيغن أثناءَ زيارته إلى مِصر عام ١٩٧٧. فقد تفاخرَ بيغن، أوّلُ رئيسٍ للحكومة الإسرائيليّة يزور الأهرامَ، أمامَ مُضيفيه، بأنّ الأهرام بناها «آباؤنا الأوائل»، أيْ بنو إسرائيلَ، ونجح بذلك في إغاظة المِصريّين. وواصَل سِياسِيُّون إسرائيليّون آخرون السَّيرَ على خُطى بيغن،

مصرّحِين بشكلٍ واضحٍ أو مُبَطّن أنّ بني إسرائيل هم من بنى الأهرام!
طبعاً هذا تزويرٌ للتاريخ والحقائق، لأنَّ العلماءَ قد صرَّحوا بأنّ ذلك ليس صحيحاً.. الحقيقة أنّ بني إسرائيلَ لم يبنُوا الأهرام في مِصر؛ فقد بُني معظمُها في حِقبتَي المملكة القديمة والمملكة المتوسّطة. والأمرُ غيرُ ممكنٍ من ناحيةٍ كرونولوجيّةٍ، إذ إنّ بناءَ الأهرام توقّف كليّاً قبلَ نهاية عهد المملكة المتوسّطة (نحو عام ١٦٤٠ قبل الميلاد)، فيما حدثَ الخروجُ من مِصرَ بعدَ ذلك في ظلّ المملكة الحديثة، وتاريخُه الدّقيقُ غيرُ معروفٍ!

ويوضح البروفسور إسرائيل فينكلشتاين ـ رئيسُ معهدِ الآثار في جامعة تل أبيب ـ بأنّه «ليست هناك أيّة إشاراتٍ في مِصرَ على أنّنا بنَينا الأهرامات، لا أثريّة ولا تاريخيّة!».
في الواقع، لم يكن هناك يهودُ لدى بناءِ الأهرام. فضلًا عن ذلك، ليس هناك أيُّ ادّعاءٍ يختصُّ ببناء بني إسرائيل للأهرام في مصادر الإسرائيليّين، لا في الكتاب المقدّس والتّلمود، ولا في كتاباتٍ أخرى!
إذاً، مَن بنى تلكَ المباني الهندسيّةَ السّاحِرةَ؟

توضّح أغلبُ المكتشَفات الأثرية الأخيرة أنّ المِصريّين هم من بنَوا الأهرام. حتّى إنّ عُلماءَ الآثار يدَّعون أنّ الأهرام بُنيت بدافع الولاء للفراعنة. وَوِفقَ ما اكتُشف في محيط

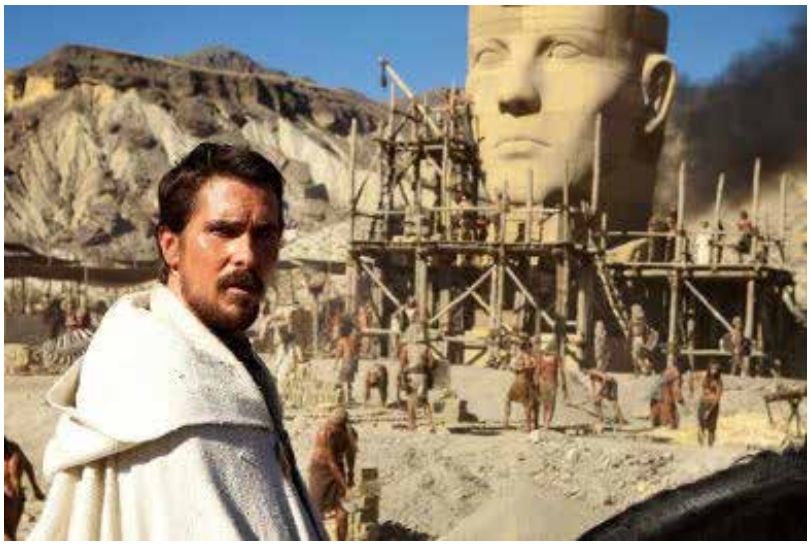

الأهرام في الجيزة، تبيّن أنّ من بنَوها لم يكونوا عبيداً مطلقاً. فمِنَ القبورِ هناك، خلصَ الباحثون إلى أنّ بُناة الأهرام كانوا أُجَرَاءَ، من طبقاتٍ مختلفةٍ، عاشوا في مدينة الجِيزة، قربَ موقع البناء.
وَوِفقَ مبنى العظامِ والجماجِمِ التي وُجدت هناك، يتعزّز الاعتقادُ أنّ العمَّال كانوا مصريّين. وليس مجرَّد مِصريّين، بل كانوا مصريّين مؤمِنين. فثمّة شهاداتٌ على أنّ العمّالَ عملوا طِيلةَ أيّام السّنة، دونَ توقّف، لأنّ فِرعون، مُمَثِّل الآلهة على الأرض وِفقَ إيمانهم، سيكافئُهم في العالَم الآخَر لِقاءَ عملهم الشاقّ.
وأتاحتِ الرسومُ من داخل المباني الهندسيّة والتحديثات في عِلمَي الآثارِ وطبقات الأرض الإضاءةَ بدقّةٍ أكبرَ على حياة المِصريّين القدماء، ومدينة

بُناة الأهرام، الذين أنجزوا عمَلَهم بدافع الإخلاص لسيّدهم. وثمّة اليوم إجماعٌ بين عُلماءِ الآثار على كون الأهرام مباني دفنٍ عِملاقةٍ جرى تصميمُها وِفقَ آراءٍ دينيّةٍ مؤسَّسةٍ على عبادة الشمس والنجوم.
الادّعاءُ الآخرُ المختصُّ بالأهرام هو أنّ مخلوقاتٍ غريبةً بنتْها. فقد بحث المختصُّون في النظريَّاتِ العلميَّةِ الزائفةِ كلَّ الوقت عن غُرفٍ خفيّة، أو رموزٍ تدلّ على أنّ مخلوقاتٍ فضائيةً زارتِ الأرضَ. فهم يتساءَلون كيفَ نجحَ البشرُ في نقل ٦,٥ مليون من الحجر، يبلغ وزنُ بعضِها ٩ أطنانٍ، لبناءِ هرمِ خوفو، وكلّ ذلك بالاستعانة بحبالٍ وأخشابٍ فقط؟
لذلك، يقترحون أنَّ الأهرامَ هي مؤشّراتٌ على زيارة كائناتٍ فضائيةٍ الكرةَ الأرضيَّة وترك طابعها على هيئة الأهرامِ ومبانٍ غامضة أخرى. وحتّى لو رفض كثيرون هذه النظريّة، فلا يمكن دحضُها، إذ إنّ العلمَ البشريَّ يقتصر على الأماكن التي بلغناها، وقد تكون هناك في «عوالِمَ بعيدة» مخلوقاتٌ عاقلةٌ غير البشر!

* بتصرُّفٍ عن موقع «المصدر».

آفـــاق

أسئلةٌ برسمِ الإجابة

بقلم هشام اسكيف *

مازالَ سدَنةُ الكيانات مُسبَقة الدَّفع، ومُسبَقة الصنع، يعتقدون أنهم يستطيعون إلقاءَ ما حفظوه شكلا، مشوّهين المفاهيمَ الوطنية، ملوّنينَ الراياتِ والأعلامَ، معتقِدين أنهم يوحِّدون الراية!

اِستبدلوا علمَ الوطن السوريّ ـ علم الاستقلال ـ بألف رايةٍ، لتدلَّ على إماراتهم، وتدنّي وعيِ الدولة لديهم.

لا يبتعد ما اقترفهُ بعضُهم على ما فعله النظامُ عبرَ اغتيال الثوار واعتقالهم وتشريدهم، والطعنِ بهم واتّهامِهم، مرَّةً بالعَلمَنَة، ومرَّةً بالديمقراطية...

باللهِ عليكُم ما الفرقُ بين تُهَمِ النظام الإقصائية، وتهمِ بعضهم الإقصائية المحرّمة للرأي والمستأثرة والمستهتِرَة بقيَمِ الثورة وقِيم الوطن؛ وحتى أكثر: القيمة الدينية العليا؟!

لقد أخصينا الثورةَ وأعقمناها لدرجةِ أنَّنا بدلاً أن نكون رسُلاً لها، ناشرِين فكرَها معمِّقين قاعدتَها، أصبحنا سَدَنَةً لمَعبدها؛ فكلما ازداد التمسُّك بالظواهر خفَّ الاعتقاد بالفكر!

رغمَ أننا لا نغفل، ولا يجب أن نُغفلَ الدورَ الرّياديَّ لمن حمل لواء الثورة الناصع بسلميَّته، لكننا أزهقنا قوىً كانت قادرةً على إغناء الفكرة وإنضاجها، لتصبح منتجاً متولداً.. لقد أرهق سَدنة الثورة، جرَّاءَ تشدُّدِهم إلى درجة التخوين والتشكيك المستمرَّين والطعن، حتى شارفت شجرةُ الثورة على اليباس، ودبَّ في أغصانها العطشُ...

هنا نضع إصبعنا ونشير ونلوّح ونستغيث... هل قمنا بالثورة لنصنعَ هياكلَ وهمية، نكون على رأسها وسيفُ الثورية بيدنا مسلّط؟ هل نحن قادرون أن نستوعبَ الوطن؟ ماذا لو سقط النظام فجأةً؟ كيف سنتعاملُ مع شركائنا في الوطن، ممّن وقفوا على الحياد، أو لم يشاركوا بالثورة، ولم يشاركوا بقمعها؟ هل نحن قادرون على أن نكونَ حُكّاماً لكل الوطن؟ ..... هذه أسئلة برسم الإجابةِ موجهةٌ للقلّة التي وضعت الثورة برسم البيع!

* هشام عبد الغفور اسكيف: مواليد ١٩٧٧، يحمل إجازة في اللغة العربية ٢٠٠١، ناشط سياسي شارك بربيع دمشق وناصر إعلان دمشق منذ إعلانه.. شارك بالثورة، واعتُقِل مرتَين...

©Amir Alhaji